ديــوان
ماري عجمي

آفاق ثقافية

(٢)

رئيس مجلس الإدارة
عصام خليـل
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول
توفيق أحمد
المدير العام للهيئة العامّة السوريّة للكتاب

الإشراف الطباعي
م . زياد العوابدة

جمع وتحقيق
عيسى فتوح

ديــوان
ماري عجمي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٦

آفــاق ثقافيــة

العــدد (٢)

ديوان ماري عجمي / جمع وتحقيق عيسى فتوح.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م.- ١٤٨ ص؛ ٢٠ سم.
(آفاق ثقافية؛ العدد ٢)

١- ٨١١.٩٥٦١ ع ج م د   ٢- العنوان   ٣- عجمي
٤- فتوح   ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

ماري عجمي

١٨٨٨ – ١٩٦٥

بقلم: عيسى فتوح

حينما أردت أن أكتب عن ماري عجمي، لاح لخاطري شريط طويل مما كتبته عن هذه الأديبة الرائدة المناضلة يوم كنت أول من دعا للكتابة عنها، بعد أن ظن الكثيرون أنها فارقت الحياة، في حين أنها كانت لا تزال تعيش في منزلها في حي «باب توما» بدمشق القديمة، بعيدة عن الناس والأضواء والصحافة والأدب، مع أختها إيلين، عازفة البيانو الشهيرة، لا تفتح بابها لإنسان إلاّ للأخوات «عويشق» اللواتي كنّ جارات لها.

كنت عام ١٩٥٦ طالباً في صف البكالوريا، في ثانوية (الآسية) الأرثوذكسية بدمشق وفي يوم كنت عائداً إلى البيت، فلمحت في واجهة مكتبة «جورية» الصغيرة كتاباً يحمل هذا العنوان «ماري عجمي.. في مختارات من الشعر والنثر» وعلى غلافه هذان البيتان للعلامة فارس الخوري:

يـــــا رجـــال العبقريـــــهْ	**ســـجلوا هـــذي الـــشهاده**
إن مـــــاري العجميّـــــه	**هـــي مـــيّ وزيـــاده**

ولما سألت صاحب المكتبة عن سعره قال: « خمس ليرات سورية» مع أن عدد صفحاته هو ١٠٤ صفحات، فترددت في شرائه لأن ثمنه باهظ جداً بالنسبة لطالب لم يكن مصروفه الشهري يتجاوز خمس ليرات، ولما رآني صاحب المكتبة ذو الوجه الأسمر النحيل، راغباً في الكتاب قال: «خذه وادفع ما تشاء» فدفعت له نصف ليرة كانت هي كل ما في جيبي، وعدت إلى البيت فرحاً مغتبطاً بهذه المختارات، أقرؤها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع أحملها في حقيبتي المدرسية يومياً، أطالعها في الفرص بين الدروس، إذ أنتحي زاوية مهملة، لا يصل إليها شغب المشاغبين أو صراخ المتشيطنين من أولئك العفاريت الذين كان همهم الركض والقفز وإثارة الفوضى!.

لقد وقع حب تلك الأديبة في نفسي منذ ذلك اليوم، وكم فرحت عندما عرفت أن منزلها لم يكن يبعد عن مدرستي غير بضعة أمتار، ولما حدثت صديقاً لي عن رغبتي في التعرف إليها قال: تعال نقرع بابها، فإما أن تستقبلنا، وإما أن تعتذر، فنعود أدراجنا. وفعلاً تم لنا ما أردناه، إلاّ أننا عدنا بخفي حنين، دون أن نعرف سبباً للرفض، واعتقدنا أنه ربما يعود إلى كوننا حديثي السن، فكيف تستقبل أديبة في السبعين من عمرها طالبين ناهضين، ليس لهما باع طويلة في الأدب! لكن يكفيني على كل حال، أنني نفذت رغبتي المكتومة،

واسترحت مما كان يؤرقني. وبعد أن تخرجت في جامعة دمشق عام ١٩٦١ وعُينت مدرساً في مدينة إدلب القريبة من حلب، شاءت الظروف أن أتعرف على الأديب الكبير سامي الكيالي (١٨٩٨–١٩٧٢)، وبينما كنا نتحدث ذات يوم عن أدب المرأة السورية، دفع إلي بالعدد الجديد من مجلة «العربي» الكويتية، لأقرأ ما كتبه عن أديبتين سوريتين هما: مريانا مراش وماري عجمي، وأكد لي في حديثه أن الثانية توفيت من زمان، فاستغربت الأمر وقلت له: اعتقد جازماً بأنها ما تزال على قيد الحياة، فأجاب: إذا كان ما تقوله صحيحاً فأنت مكلف منذ الآن بالاتصال بها وتقديم محاضرة عنها في حلب. وكان الكيالي يومئذ مديراً لمركزها الثقافي، ولما عدت إلى دمشق في أول عطلة مدرسية، سعيت للاتصال بالأسرة لأجمع المعلومات اللازمة وأطلع على مجلتها «العروس» وأهيّئ من خلالها محاضرتي، ولحسن الحظ وفقت في مهمتي... فقد فُتح لي الباب المقفل هذه المرة، واستقبلتني أختها «إيلين» لما عرفت اسمي وقصدي من الزيارة، وبعد أن استأنست بي قدمت لي أحد عشر مجلداً من مجلة «العروس» التي كانت تصدرها أختها، ونسخة من رواية «المجدلية الحسناء» التي ترجمتها عن الإنكليزية وأهدتها إلى مشتركي مجلتها، واستطعت بهذه المناسبة أن أحصل على عدد من الصور التذكارية المعلقة على جدران منزلها، وأصور في الوقت نفسه هذا المنزل الأثري العريق الذي كنت أتمنى أن يصبح في يوم من الأيام متحفاً يضم تراث ماري

عجمي وأشياءها، وهو دار دمشقية واسعة، في صحنها بركة ماء، وأشجار نارنج وكبّاد، وأزاهير شتى، ومرايا و...

لقد ألقيت عدة محاضرات عن ماري عجمي وكتبت عنها مقالات كثيرة في مجلات: الأديب والمعارف ودنيا المرأة في بيروت ومجلتي المعلم العربي، والفتوة، وجريدة الثورة، وكان آخر ما كتبت عنها في عدد تموز ١٩٧٤ من مجلة المرأة العربية وقصرت المقال على مجلتها «العروس» فقط.

أما اليوم فإنني أعود للكتابة عن المجلة وصاحبتها بشيء من الإسهاب، لأغني الجوانب التي أوجزتها هناك، ولأضيف أشياء أخرى كنت أغفلتها، أو اكتفيت بالإشارة إليها، مبيناً من خلال ذلك الدور الوطني المهم والفعال الذي لعبته إبان الاستعمارين التركي والفرنسي، فكانت بحق مثال المرأة الطليعية المناضلة.

كانت توقع مقالاتها الخطيرة باسم «ليلى»، وتحت عنوان «حديث ذو شجون» وفي ذلك يقول الشاعر نبيه عبده:

لَرشفُ السحر من ثغرِ العروسِ

أحبُّ إليّ من رشفِ الكؤوسِ

بها دررُ المعاني قد تجلت

شموساً دونها حسنُ الشموسِ

فأبدت من سنا (ليلى) جمالاً

يقدمه البخيلُ على الفلوسِ

وبالإضافة إلى باب «حديث ذو شجون»، الذي كانت تكتبه من حين لآخر، تتحدث فيه شهرياً عن انطباعاتها، وتضمنه أبرز آرائها وأفكارها ومطالعاتها في المجلات الأجنبية... هنالك أبواب أخرى هي: باب المباحث النفسية، وكان لها ولع فيه، وباب الفنون الجميلة، وباب الرواية، وباب تدبير المنزل، وباب الاجتماع، ثم زاوية للأخبار الأدبية والأخبار الخاصة المتفرقة، وكانت تزين الصفحة الأولى من كل عدد بصور المشاهير العرب والأجانب، كهلن كيلر، والكونتيسّة دي نواي، وميخائيل نعيمة، وأحمد شاكر الكرمي، والدكتورة أُنس بركات باز، وجون رسكن، وعارف النكدي، وصفية حرم سعد زغلول، والشاعرة اليونانية سافو وسواهم...

كان من كتاب المجلة آنذاك عدد كبير من رجال الفكر والأدب في الوطن العربي والمهاجر، معظمهم من الرجال لأن عدد النساء الكاتبات كان في تلك الأيام يعد على الأصابع، فمن النساء العربيات: روز شحفة، والدكتورة أنس بركات. زوجة نصير المرأة جرجي نقولا باز الذي كتب سير العشرات من النساء اللامعات، وألّف كتابه المشهور «إكليل غار لرأس المرأة»، وزينب فواز، وأديل عجمي، وسلمى كساب، وسلمى جنبلاط وفاطمة اليشرطية، ونازك العابد، وسوزي كحيل... وكانت تترجم لعدد من الكاتبات الأميركيات والإنكليزيات مثل دوروثي دوكس، وليزا الكوت، وألن روبنصون، وهرييت ستانسون... أما الكتّاب والشعراء فنذكر منهم على سبيل المثال أولئك المداومين على الكتابة في العروس مثل أديب فرحات،

وأحمد شاكر الكرمي، وسليم حمدان، وعبد المجيد رمضان، وجورج قصاص، وإيليا أبو ماضي، ومحبوب الشرتوني، والرصافي، والزهاوي، وعبد الله النجار، والدكتور خالد الخطيب، وقسطنطين تيودوري، وجورج ميداني، وميخائيل الله ويردي، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري(الأخطل الصغير).

ماري والاستعمار:

لقد ارتبط كفاح الآنسة ماري عجمي، بالدرجة الأولى، بشهداء السادس من أيار ١٩١٦، فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها وأحوال من فيها من السجناء السياسيين، ورأت بأمّ عينها الأوضاع السيئة التي كانوا يعانون منها، وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال، ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد، غير خائفة من عقابه، ولا متهيبة مشانقه وجواسيسه، فقد كان الشهداء أولئك الذين قتلوا حباً بالاستقلال، بعد أن جعلهم جمال باشا بمنزلة الواشين المجرمين على حد تعبيرها.

تقول: «لقد كنت أسمع أنين أولئك الشهداء، وأبصر مواكبهم المزمعة على الرحيل، وأرى المشانق المنصوبة كأنها مواقف مناطيد المجد المحلقة إلى السماء».

وكان رد فعل العرب على جريمة إعدام شهداء أيار قيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، فانضم إليها العرب، كل العرب ثم دخلت

الجيوش العربية سورية، ظافرة منتصرة، بعد أن هزمت فلول الأتراك، وقام الحكم الوطني إلا أن الفرحة لم تطل كثيراً، إذ أعلنت فرنسا حربها على سورية، المستقلة، واقتحمت حدودها في معركة ميسلون عام ١٩٢٠ وبعد أن تم الاحتلال الذي لم ينقلنا إلا من تحت الدلف - دلف الاستعمار التركي، إلى تحت المزراب - مزراب الاستعمار الفرنسي، على حد تعبيرها، راح الفرنسيون يراودونها، ويحاولون إقناعها بالكف عن مهاجمتهم في مجلة «العروس» وسواها، مقابل مبالغ ضخمة من المال تدفع لها، لكنها رفضت أيما رفض، وزادتها المحاولات عناداً وتصلباً، وحدة في المهاجمة... وعندما أقضت مضاجع الفرنسيين بمقالاتها الثورية اللاهبة ردوا عليها بتعطيل المجلة نهائياً، تقول:

«بعد أيام قليلة انقضت على استيلاء فرنسا على دمشق، جاءني شرطي برقعة يدعوني فيها رئيس الوزراء إلى اجتماع أراد عقده، فخططت عليها كلمة «تبلغت» وأبيت أن ألبي الدعوة. وبعد انعقاد الاجتماع، سألت عن القصد منه، فقيل لي إن مدير إدارة المطبوعات الفرنسية خطب في الحضور، وهم الكتّاب وعلّمهم (كيف يكتبون) ووزع عليهم ورقاً بلا ثمن، ووعدهم بالمساعدة...».

لا أعتقد أن مجلة نسائية عربية تحملت من الأعباء، مثل ما تحملته «العروس» وقليلات هن اللواتي خرجن إلى ميدان العمل السياسي، ومعارك النضال الوطني المشرّف كماري عجمي، فقد حاضرت وخطبت في الجماهير، وتنقلت بين سورية ولبنان

وفلسطين ومصر والعراق، تارة تنشر آراءها الثورية عن طريق إلقاء الدروس في المدارس، وتارة عن طريق الكتابة، توزع مقالاتها على الصحف والمجلات التي كانت تحثها على المزيد، وظلت هكذا حتى شهدت جلاء آخر جندي فرنسي عن أرض الوطن في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦ ونعمت سورية بالاستقلال والحرية في ظل الحكم الوطني.

نشاطات أخرى:

كانت ماري عجمي قد درست فن التمريض في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٥ لكنها لم تكمل الدراسة بسبب انحراف صحتها، فاتجهت في البداية إلى التعليم، وعينت معلمة أولى في المدرسة الروسية بدمشق عام ١٩٠٦ ، ثم راحت بعد ذلك التاريخ تراسل كبريات الصحف والمجلات كـ «المقتبس» في دمشق، و«المهذّب» في زحلة، و«الإخاء» في حماة والحسناء ولسان الحال في بيروت مدة سنتين.

ثم انتقلت إلى الإسكندرية عام ١٩٠٩ حيث عيّنت ناظرة لمدرسة الأقباط، فقضت سنة واحدة ثم عادت إلى دمشق لتنشئ مجلة العروس في كانون الأول عام ١٩١٠.

أسست النادي الأدبي النسائي في حي القصاع بدمشق، ثم جمعية نور الفيحاء وناديها، ومدرسة بنات الشهداء بالاشتراك مع نازك العابد عام ١٩٢٠، وانتخبت عضواً في لجنة النقد الأدبي في جمعية الرابطة الأدبية عام ١٩٢١ ، وأسهمت في تحرير مجلة الرابطة المذكورة التي لم تعش أكثر من عام واحد، وكانت المرأة الوحيدة في تلك الرابطة.

عربت عن الإنكليزية - بالإضافة إلى تعريب رواية «المجدلية الحسناء» التي صدرت عام ١٩١٣- رواية «أمجد الغايات» سنة ١٩٢٧ للكاتب باسيل ماسيوز، وقد أهدت الرواية إلى فليكس فارس قائلة: «إلى الكاتب الرقيق الروح والقلم، والقائد الذي بثّ بي روح الشجاعة الأدبية، والأخ الذي رفع ستار الشقاء وأراني سبيل الواجب، ودعاني إلى الجهر بما في جسد الاجتماع البائس من السوس الناخر، أهدي روايتي هذه عربون شكر وولاء».

درّست الأدب العربي في مدرسة الفرنسيسكان (دار السلام) مدة أربع سنوات في مطلع الثلاثينات وسافرت إلى بغداد بقصد التدريس أيضاً عام ١٩٤٠، لكنها لم تمكث هناك أكثر من سنة، عادت بعدها لتتصرف إلى النشاطات الأدبية والاجتماعية فانتخبت عضواً في جمعية حلقة الزهراء لسيدات ورجال الأدب عام ١٩٤٤.

احتفلت بها الأوساط الأدبية فأقيمت لها حفلة يوبيل فضي في بيروت سنة ١٩٢٦ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على

كفاحها وعملها في ميادين الخطابة والكتابة والصحافة... ولقيت مثل ذلك التكريم في حفلتين أقيمتا لها في حيفا ويافا سنة ١٩٢٨، كما كرمها النادي الأرثوذكسي بدمشق عام ١٩٢٩. وفازت بجائزتين من الإذاعة البريطانية عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ إحداهما عن قصيدتها «الفلاح» الذي تقول فيه:

هـو الـزارع الفـلاح لـولا جهـاده

لما شِمت بالريحان حسن المخايل

نبيٌّ فقد أوحى إلى القفر بالشذى

وعلّـق أقـراط الغـصون الحوامـل

توفيت ماري عجمي في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٦٥ عن سبعة وسبعين عاماً، فأقام لها اتحاد الجمعيات النسائية في سورية حفلة تأبين على مدرج جامعة دمشق في ٢٥ نيسان ١٩٦٦ تكلّم فيها كلٌّ من: فؤاد الشايب، رئيف خوري، جان كميد، وداد سكاكيني، الدكتور كاظم الداغستاني، عفيفة صعب، أمين نخلة، والدكتور جدعون محاسب نيابة عن أسرة الفقيدة.

ثم طبعت لها وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦٩ كتاب مختارات من الشعر والنثر تحت عنوان «دوحة الذكرى». وما يزال قسم كبير من مقالاتها ومخطوطاتها غير منشور، وموزع في بطون الصحف والمجلات التي كانت تكتب فيها.

أديبة الشام

بقلم: الأديبة وداد سكاكيني

كان الفرزدق إذا سمع شعراً للخنساء قال: تلك أنثى غلبت الفحول... وفي زماننا هذا لو يُسأل فحول الأدب عن «ماري عجمي» لأعادوا قول الفرزدق في الخنساء.

عرفت أديبة الشام وأنا طالبة أتشوّف إلى مطالع الأدب النسوي المعاصر، فتمثلت من خلال آثارها روحاً جبارة نفذت إلى دقائق الحياة فتحسستها في حقائقها، وتلمستها من مظانها، وخيل إليّ أن وراء آثار الأديبة عبقرية طلعت قبل الأوان، وفي بلد لم يتعهد مغارس الفكر والبيان، وحين جمعني إلى الآنسة ماري عجمي وداد ووفاء وجدت أن الخيال الذي كنت أراها من خلاله غاب عني خجلاً لقصوره في تصويرها، فلقد رأيت منها ما وراء النظر وسمعت ما فوق الكلام.

نجمت أديبة الفيحاء من أسرة عريقة متنورة، وكانت المواهب الرفيعة قسماً موزعاً في هذا البيت الكريم، على أن الآنسة ماري

تنفست الأدب في غرارتها وحداثتها، وتنسمت أرجه المعطار منذ تفتح صباها للخير والطموح، لقد نفث الأدب من سحره في روحها، فهامت به وهام بها وشغفها حباً وحين وقفت بباب العمر الكامل أصابها كل ما يصيب العشاق من ذهول وإطراق وشحوب ووجيب، وسعت إليه بكد إن لم يضارع كد النملة فبشوق يضاهي شوقها إلى ما تسعى.

ولقد عرفت «ماري» الكتاب في سن صغيرة، لا تستهويها غير الدمية والأرجوحة، غير أنها لم تكن كلداتها، فأحبت الكتاب وأكبت عليه تقلب النظر فيه وتناغي حروفه، وما لبثت أن حملت القلم مزهوة بخطها فيه وحظها منه، ولم تكن تدري أنه سيتحول في يدها عصا سحرية تجود بالآيات البينات، وحين اتصلت بالمجتمع وتغلغلت في شؤونه وشجونه جعلت تدمغ بالحجة البالغة ما يفترى على المرأة ظلماً وكيداً، داعية قومها إلى تحريرها وتبصيرها، وإلى رفع مستواها بالتعليم والتقويم، لكي تكمل الرجل ويتعاونا معاً على بناء الأسرة والمجتمع.

ومشت مع الزمن تأخذ بثقافة من العربية عريقة مكينة، وثقافة من الإنكليزية واسعة رزينة، حتى إذا نضج طبعها بالبيان طلعت على منبتها دمشق كزهرة فواحة العبير في عهد لم يكن بالشام امرأة تحسن الإملاء والإنشاء بله حمل القلم، وقد عز على ماري أن ترى

بنات قومها أميات وأنصاف متعلمات، فمارست التدريس والتثقيف تارة في الوطن وتارة متنقلة حيث تدعو الحاجة ويطيب المقام.

ولما احتدمت الحرب العالمية الأولى، ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف «ماري» مكتوفة اليدين، معتزلة وجلة، لاسيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان بل تشفعت بهم، وزارتهم في سجونهم الرهيبة وواست منهم كل مشرد وطريد، حتى وضعت الحرب أوزارها فجعلت الآنسة ماري تحقق بعض أمانيها بالكتابة والخطابة، وإذا بمجلتها «العروس» تتهادى بحلة الفن والأدب، داعية إلى التحرر والخلاص من نير الغاشمين، والمتزعمين، غير عابئة بدس المبطلين، وقد فاتها ما كان يجري يومذاك من فيض الإغراء والعطاء على كثير من الصحافيين والكاتبين الذين سخروا أقلامهم للمضي في ركب الأيام، ولكن قلم «ماري» تأبى وانقبض، فعاشت صاحبته منطوية على نفسها، قانعة بعزتها وكرامتها، وقال ناس فاتها الكثير، وقال الأدباء فيها: نالت الكثير...

وبقيت ماري عجمي الصحافية الحصيفة تزف إلى قرائها وقارئاتها «عروسها» التي بقيت في جلوتها، ولم تتبدل نضارتها، حاملة في كل شهر طاقة ندية عطرة من أزهار شعرها ونثرها، ناقلة بقلمها أطيب ثمرات الفكر الغربي، وقد قامت «ماري»

بتكاليف المجلة سنين طوالاً، فأصدرت منها أحد عشر مجلداً، وكانت تحمل وحدها عبء المجلة الذي ينوء بمثله جماعة من الرجال وخاصة في دمشق، وكم نشروا مجلة أو جريدة لم تعش أكثر من عام أو بضعة أعوام.

ويدور الزمان بالناس، فإذا الآنسة ماري عجمي أستاذة الأدب العربي في معهد الفرنسيسكان تعلم الطالبات الشابات أدب العربية على أحكم دراسة وأقوم طريقة، ولو أنك سمعتها تحاضر تلميذاتها عن المعري أو الجاحظ، وضرب بينك وبينها بحجاب لقلت: ثمة أستاذ كبير يحسن الخوض في تاريخ الأدب ويرد صدور البحث إلى أعجازه، ويجيد المقارنة والموازنة بين الشعراء أو بين الخطباء والباحثين وقد يهزك العجب والإعجاب لندرة الأساتيذ الذين أوتوا مواهب الأدباء، وأحاطوا علماً بمذاهب النقد الحديثة ومناهج البحث والتحليل، ولئن زحزح عنك الستار أو الحجاب، ورأيت المحاضر أو المدرس من بنات حواء لشدهت ودهشت، وظننت في التناسخ الظنون، ولا بدع إن أخذك العجب فإن تدريس الأدب العربي ما يزال في شرقنا العزيز وقفاً على الرجال، وقليلات هن اللواتي اضطلعن بهذه المهمة الكبرى، فتعمقن بالعربية وألممن بلغة غربية كما أوتين المزايا والمواهب المنشودة في معلم الأدب.

وأتيح للآنسة ماري أن تتذوق حلاوة الأدب السكسوني بلغة شكسبير، فاطلعت على كثير من ألوانه وأفانينه، وكانت تبتسم وتهمهم كلما رأت أشباح الأدباء الإنكليز حوامة على آثار بعض المفكرين والمشهورين من كتاب الشرق الذين يتخذون من تلك الأشباح أرواحاً لأدبهم السليب.

وإن أدبنا النسائي المعاصر ليزهو بشعر «ليلى» وما ليلى هذه إلا ماري عجمي التي أعادت إلى الخواطر ذكرى شاعراتنا العربيات في عصور الجاهلية والإسلام على تفاوت بالفكر والمزاج والاتجاه، وإن شعرها الرقيق ليفيض من حسها الدقيق، يوحيه إليها ملاك لا شيطان، فالشيطان للشعراء من الرجال، وكم ذا يرق شعورها، ويروق تعبيرها وتصويرها، حين تعتصر الآلام قلبها، أو حين يستخفها الطرب ويستهويها الرضى والجمال.

لقد عرفت ماري نفسها، فصانتها عن الهوان، وضنت بها على التكلف والرياء، واتخذت لذاتها وحياتها أسلوباً في الكتابة والحديث شاع في آثارها وكلامها، وهو أسلوب التهكم الذي كانت تصيب بلمحاته الخاطفة ما لا يصيب غيرها بالنقد والتعبير، والحديث المكرور، فإذا استمعت ماري لرأي عاجلته ببديهتها، وطبعته بالنكتة التي هي طوع خاطرها وشعورها.

ولعل أبرز ما عرفت به أديبتنا الجليلة هو صراحتها التي لا تصطنع فيها مداراة ولا مداورة، وقد جافاها من جرائها كثير ممن كانت حفية بهم وفية لهم في الحل والترحال، ولئن تجنى عليها من تجنى فإنها لم تعدم من أهل الأدب والوفاء من يقدرها قدرها ويذكر فضلها.

ماري عجمي

بقلم الأديبة كوليت الخوري

- ١ -

لا شك في أنها حتى هذه اللحظة لم تأخذ حقها من التاريخ.. ولم تحتل المكانة التي تليق بها في سجل المجد...

ماري عجمي..

واحدة من أهم نساء القرن العشرين السوريات العربيات..

لا لأنها كانت أديبة كبيرة فحسب والجدير بالذكر ان آثارها الأدبية من شعر ونثر وترجمة - وما أكثرها - لم تجمع حتى اليوم في كتاب.. فيما عدا الكتاب الذي طبعته تكريماً لها الرابطة الثقافية النسائية في دمشق وكان ذلك في أواسط الأربعينات أي إبان حياتها.

ولا لأنها مثقفة كبيرة وأستاذة في الأدب العربي متميزة.. ومتحدثة بارعة وتتقن من اللغات عدة...

ولا لأنها استطاعت بمفردها أن تصدر في دمشق سنة ١٩١٠ مجلة مهمة سمتها «العروس» واشتهرت هذه المجلة وانتشرت في زمن كان الرجال فيه يعجزون عن إصدار مجلة جيدة.

ولا بد لي من أن أذكر هنا أنها تحملت بمفردها وبنفسها أعباء هذه المجلة التحريرية والمادية.. وأن هذه «العروس» بقيت تصدر من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٢٦ مع انقطاع دام من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ بسبب الأحداث السياسية...

ماري عجمي امرأة عظيمة لأنها إلى جانب كل هذه المزايا وفوق كل هذه الصفات كانت مناضلة حقيقية ومكافحة تحمل الوطن في كيانها...

«لما احتدمت الحرب العالمية الأولى ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف ماري عجمي مكتوفة اليدين معتزلة وجلة.. لا سيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان... بل تشفعت لهم.. وزارتهم في سجونهم الرهيبة..»

وجاء في كتاب الزميل عيسى فتوح «أديبات عربيات» الذي قدّمتُ له أنا ويتحدث فيه عن أكثر من ثلاثين أديبة.

«... ارتبط كفاح الآنسة ماري عجمي بالدرجة الأولى بشهداء السادس من أيار فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها الرديئة القاسية ورأت بأم عينها الأوضاع السيئة التي كان يعاني منها السجناء... وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال.. ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد... غير خائفة من عقابه ولا متهيّبة جواسيسه ومشانقه..».

نعم.. كافحت وناضلت وعرّضت نفسها للخطر أيام العثمانيين..

وجاء الانتداب.. وحاول الفرنسيون عبثاً أن يستميلوا إليهم هذه المرأة الوطنية المناضلة صاحبة «العروس» وأن يجعلوها تتعاون معهم لكنهم باؤوا بالخيبة والخذلان.

وكما يتابع الأديب عيسى فتوح عن ماري عجمي:

«... واستمرت تحرر مجلتها بقلمها الجريء حتى سنة ١٩٢٦ حيث توقفت نهائياً بسبب مناهضتها الصارخة للاحتلال الفرنسي...»

وهكذا...

استمر نضال ماري ضد الانتداب مثلما كان ضد العثمانيين.. حتى توّج بالجلاء واحتفلت مع الوطنيين والسوريين باستقلال البلاد.

- ٢ -

ماري عجمي امرأة عظيمة عاشت لقلمها وللأدب وسخرت قلمها والأدب لخدمة الوطن.. ومن الحرام أن أختصر حياة هذه الإنسانة الكبيرة في صفحة صغيرة...

ومن الحرام أن أحشر سيرة امرأة رائدة رأت النور سنة ١٨٨٨ وانطفأت سنة ١٩٦٥ في أسطر معدودة...

وأن لا أسجل هنا ما قاله عنها كبار رجالات بلادنا مثل فارس الخوري والأخطل الصغير وخليل مردم بك وغيرهم كثيرون ولكن لما كان أحد الأصدقاء أخبرني أنه سيؤلف كتاباً عن ماري عجمي.. فقد أسعدني الخبر، ورأيت أن أقدم هذه الصفحات تحية لأديبة مناضلة عظيمة لم نعطها حقها حتى اليوم...

فكما يقول الصحفي الكبير والأديب عبد الغني العطري في كتابه القيم «حديث العبقريات» الذي يتابع فيه سلسلة الدراسات والتراجم لحياة الأعلام وهي سلسلة كتب مرجعية قيمة ومفيدة وممتعة... في أدبنا الحديث عن تاريخنا الحديث.. يقول فيما يقوله عن ماري عجمي «الأديبة الشاعرة والمناضلة الرائدة».

«نحن لم نقم لها تمثالاً في حيّها.. وهي جديرة بذلك».

«ولم نطلق اسمها على شارع وهي أهل لذلك أيضاً».

«ولم تحمل مدرسة[١] اسمها وهي التي حملت راية نهضة نسائية وعلمية شاملة وكانت أستاذة لأجيال عديدة...».

«ولم نجمع آثارها المشتتة في مجلتها وفي عشرات الصحف والمجلات..».

«ولم نحدّث الجيل الصاعد في الكتب المدرسية بشيء من أخبارها ولم نروِ له صفحة من كفاحها..».

«لقد نسيناها كما نسينا سائر عظمائنا في الجهاد الوطني والفكري والعلمي...».

وهنا فقط أتوقف لأعترض...

ومن قال إننا نسينا؟؟؟.

دمشق في
٢٦ أيلول ٢٠٠٠

---

(١) سميت مدرسة ابتدائية باسمها مؤخراً في ساحة جورج خوري بدمشق، بعد صدور كتاب العطري، كما أصدر الدكتور ميشال جحا كتاباً عنها في منشورات رياض الريس. ع.ف.

ديـوان
ماري عجمي

تحية الربيع

نـضا الـروض عنـه رداء المنـام

وألقــى عليــه وشــاح الزّهــر

ألا فافـــسحوا للربيـــع المقـــام

فقـــد أقبــل الموكـــب المنتظـــر

* * *

رأيـــت الربيـــع يـــشق الثـــرى

ويحيــي المَـوات ويلقــي الطريـف

تـسير علــى جانبيـه الـدمى

ويهتــف إلـــف بـــأذن الأليـــف

* * *

علـى الـسهل منـه بـساط نـضير

توشـــى بـــأزهى فنـــون الخيـــال

ترقـــرق فيـــه لجـــين الغـــدير

وشــدّت إليـــه الطيـــور الرحـــال

* * *

-٢٩-

هــو الزهــر إن هجرتــه الطيــور
وأخنــت عليــه صــروف الزمــان
معــاد، ومــا كــان يــوم النــشور
سوى الملتقى فـي ربـوع الجنـان

* * *

تعـودين يـا طيـر بعـد الهجـود
وإنّــا لجوقتنــا فـــي اشـــتياق
لقـد بـسط الـدوح ظـل الخلـود
فهـــزي بربـــك ذاك الـــرواق

* * *

ونــادي الغـصون علــى شـغلها
تـــشق الطرائـــق نحـــو العـــلا
فـشيء مـن اللحـن فـي أذنهـا
يثيـــر بهـــا خفقـــات اللـــوا

* * *

إلـى الـروض نزهـو بأعلامـه
تــرفُّ بخــضر المنــى والنــوال
فكـــم مـــن خيـــال بأحلامـــه
تحقـــق مـــستهزئاً بالمحـــال

* * *

هو الزهر جود، فتطفو السلال

ويمتلىء الجو من نفحته

وهذا يرجّح ذات الظلال

وذاك يموج على ضفته

* * *

لقد حشد الروض جيش البديع

وزاد الحماس احمرار الشقيق

وما وطّأ النور ذيل الربيع

ولكن حياة سرت في العروق

* * *

عقدت لزهر الرياض الإخاء

وعشت أشيد بإحسانه

فأهدي إليه عقود الولاء

ويمنحني فوح أردانه

* * *

عزائي إذا ساورتني الهموم

يرفّه عن كبد نازيهْ

ففي ظلمتي من سناه النجوم

تشع على طرقي الخافيهْ

حملـت إلـى النهـر قلبـاً كئيـب

أغـــسّل أشـــجانه الماضـــيهْ

فلملـــم كـــل شـــجون القلـــوب

وأبـــــــدعها وردة داميـــــــهْ

* * *

ومـــا الزهـــر إلا بيـــان جميـــل

يعبّـــر عـــن خلجـــات الثـــرى

تـــراه إلـــى جانبينـــا يميـــل

ويهمـــس شـــيئاً بـــسمع الـــورى

* * *

إلـى الـوعر بـين الـذرى والـتلاع

إلـى الفـيء فـي ذلـك المنحنـى

وكـل طـروب بمـا قـد أشـاع

رســـول الخمائـــل فـــي أفقنـــا

* * *

نغنـــي ســـجالاً غنـــاء الحيـــاهْ

نـــردد فيـــه القـــرار الـــرخيم

هـو العـيش قـد أسلـسته يـداه

فنهـــر جـــواد وروض بـــسيم

يقظة الربيع

خـــلّ اللــــواعج والفكـــر	فلقــد أضـــرّ بــك الـــسهرْ
وامــــرح بجنــــات الــــشآ	م مــــع العبيـــر المنتــــشرْ
حيـــث الربيــــع مخــــيمٌ	والمــــوج يعبـــث بالــــدررْ
ســـال اللجـــين بمائــــه	يجلــــي الخميلــــة والزهـــرْ
فــــوَمَن أحــــب، لَنــــوره	مـــا بـــين مخـــضرّ الـــشجرْ
أشـــهى إلـــيّ مـــن الـــلآ	لــيء والجــواهر فــي النّحــرْ

* * *

يـــا بـــدر حيّتـــك الريـــا	ض وبهجـــة الـــوردِ الأغـــرْ
أنـــا قـــد نـــذرت صـــبابتي	وقفـــاً علـــى مـــا قـــد نـــضرْ
غـــرس الجمــــال غرامــــه	فنمــــا بقلبــــي وازدهـــــرْ
أنـــا أعـــشق الأزهـــار مـــا احـ	ــتجب الربيـــع ومـــا ســـفرْ
أهـــوى الخـــزام ومـــا روت	عنــــه نــــسيمات الــــسحرْ
وأحــــب ثرثــــرة الــــشوا	دي فـــي ظليـــل المنحـــدرْ

مـــن لا تـــشوّقه المنـــى ويـــذوب مـــن وجـــد وحـــرْ

جهـــل الحيـــاة وفتنـــة الــــ ـــسحر الحــلال ومــا غمــرْ

وغـــدا كغـــصن قـــد ذوى لا زهـــر يرجـــى أو ثمـــرْ

فتحـــت عيونـــك يـــا ريـــا ض فهـــل غـــرام أم حـــذرْ

أم تـــرقبين الـــريح تهمــــ ـــس مـا العبيـر بـه أسـرْ

أم طيـــف محبـــوب يـــز ف لـــك القلائـــد والـــدررْ

*   *   *

جواب الروض

يــــا جــــارتي لــــو تعذريــــ ـــن جلــوت مكنــون الخبــرْ
طيــــــفٌ ألـــــمّ بليلـــــة حلــــو التغـــزل والــــسمرْ
فــي عينــه بــرق المنــى فـــي كفــه جــود المطــرْ
لمــس الثــرى فـــإذا بــه ورد بلمـــــــسته انتثـــــرْ
أنفاســــه ريـــح الـــصبا ألفاظـــه نغـــم الـــوترْ
هـــاج الحنـــين جناحـــه فمـــن الخلاعـــة للخفـــرْ
ثمـــل معتقـــه النـــدى طلـــق تبـــسم أو زفـــرْ
ســـكرت بنـــشوته النفـــو س ويــا لخمــر قــد عــصرْ
أبـــداً بـــشغلٍ شــــاغلٍ فــي كـــل فـــنٍ مبتكـــرْ
مـــا مـــن جمـــالٍ شـــمته إلا بـــــه منـــــه أثـــــرْ
فـــــإذا ذكـــــرت رواءه والــــروح تبعثهـــا الـــذكرْ
أضـــفى علـــيّ غلالـــة خـــضراء وشـــاها القمـــرْ

* * *

يــــاقوم أيـــــن ربــــيعكم	أيــــن الروائـــــع والغــــررْ؟
أيــن الــصفاء وأيــن مجــد	كــم القــديم ومــا بهـــرْ؟
لبــست رياضــكم الحــدا	د أســى علــى حــظٍ عثــرْ
لِــمْ لا تعــود مــع الربيـع	حيـــاة شــعب محتـــضرْ
يخـــضر فيــــه رجـــاؤه	بمـــضاء فتيـــان ســـمرْ

* * *

يــا مــن تهلــل للربيــ	ــع ومــن بروضــته خطــرْ
أيــن الربيــع مــن القلــو	ب خفقـن فــي يــوم الظفـرْ؟

* * *

الجندي في ساحة القتال

كـان كالبلبـل فـي أيكتـه   يتغنـى بـالقوافي العـامرهْ
فرمـى الكـأس وألقـى نايـه   ومـضى للحـرب نفـساً ثـائرهْ

* * *

مـشت البيـد أم الركـب جرى   أم جبـال وحـصون سـائرهْ
أطبـق الجـو عليـه والثـرى   ببـراكين الـضرام الفـائرهْ
وهو منها فـي غلاف محكم   ينفـث الأهـوال حمـراً زائـرهْ
باع يوم النصر طوعاً روحه   فهي ومضٌ بالنصال القاهرهْ
أصـبحت شُـمّ الروابـي وهـداً   وغـدا الغـور تـلالاً زاخـرهْ
أيّهـا الفتيـان أيـن الملتقـى   أجنـان الخلـد أم بالحاضـرهْ؟

* * *

قـدرٌ يلهـو وعمـرٌ ينقـضي   وغـصونٌ تتهـاوى خـائرهْ
والفتـى جـزر ومـدٌ بينهـا   عنـد أكـوام الحطـام الزافـرهْ
ونـشيد المـوت فـي مسمعه   وخيـالات الأمـاني سـافرهْ
ويكفيـه مفـاتيح الـردى   وبعينيـه اتقـاد الهـاجرهْ
وحـزام كـشرت أسـنانه   يتلـوى شـبه أفعـى دائـرهْ

هــي نـــار كلمـــا أشـــعلها أطفأت نـار الخـدود الناضـرةْ
وإذا مـرّ بــه المـوت ارتمـى راكـداً تحت الـشظايا المـاطرةْ
أو تـوارى عند سفح المنحنى أو هوى بين الشقوق الغائرةْ

* * *

وتنـاهى النـسر فـي تحليقـه فاتحـاً للعـين بـاب الآخـرةْ
أجحــيمٌ فـــي جنــاحٍ خــافقٍ يتقـي حـرّ المنايـا الطـائرةْ
قد كسا الكون حداداً بعدما وهـب الليـل نجومـاً زاهـرةْ
ودّ لــو ينتــزع البــدر بمــا راعه مـن صـاعقات غـادرةْ
كـي يدكّ الأرض بالخصم فلا تتـصبّاه العـوادي الجـائرةْ
أينمـــا شـــاء تـــدلى آمنــاً جاذبـاً حبـل الحيـاة البـاهرةْ
ظلـــة رفرافـــة تهـــوي بـــه رفـة الـزورق فـوق الهـادرةْ

* * *

هـل لهـا إلا غيـور حـازم لا يهاب الموت، نـار صاهرةْ
تعصف النخـوة فـي أضـلاعه عصفة الـريح بـروض عاطرةْ
مـؤمن بـالحق، صلبٌ، خشنٌ غيـر عـاصٍ شـرعة أو آمـرةْ
دائـب لا ينثنـي عـن واجـب نـاهض بالعبء، غوث القاطرةْ

* * *

صفحة المجد أما من قارئ يلمـس الدمعـة تجري حـائرةْ
كـم صـريعٍ نـسج الفخـر لـه كفنـاً فـاق البـرود الفـاخرةْ

* * *

الصباح

هلـل الـروض للـصباح وكبّـر　　　يـا لــه شــاعراً تغنــى فأسـكر

هبّ والزهر فـي الغلالـة يشدو　　　ما أحيلى الصباح!.. الله أكبر

* * *

شــــهد الفجــــر أروع الآيــــات　　　إن حبّ النهوض سرّ الحيـاة

فاتر العزم قم من النوم وانظر　　　إنمـا الفجر معرض المعجزات

* * *

مــن زهـــورٍ تفتحــت أقمـــارا　　　ونجـــومٍ تودعـــت أســـحارا

ودمـوعٍ أسـالها البـين إن الــ　　　ـبين صـعبٌ ولـو عهـوداً قـصارا

* * *

مـا تـرى الأزرق الخضم يلين　　　يعتريـه عنـد الـشروق سكون

صاحِ، طالت يد الزمـان علينا　　　فمتـى يـا صبح الأمـاني تبين

* * *

ما لخضر الظلال في النهر نشوى　　　تتهـادى مـا بـين بـثٍ وشكوى

هل غدا الماء في الجداول راحاً   أم أمال النسيم عطفك نجوى

*   *   *

إخلع النعل فالمكان محرّم   ما المصلى منه بأنقى وأرحم

فهنا الطلّ واللجين وضوءٌ   وهناك الصفصاف صلّى وسلم

*   *   *

وزكاة الرياض ظلٌ وخمرُ   وحفيف الأوراق آيٌ وذكر

وثغاء القطعان في الحقل شكر   وأريج الريحان طيٌّ ونشر

*   *   *

وهتاف الورقاء أزكى تحيّهْ   تغمر الأفق بكرةً وعشيهْ

إيه ورقاء هل تساوى هديلٌ   كان شجواً أو نشوة سحريهْ

*   *   *

هل صدود الحبيب يعني اتصالاً   بحبيب سواه ما القلب مالا

وإذا لم يكن من البين بدٌ   فعلام السهاد يمسي اكتحالا

*   *   *

وكذا العمر يقظة ورقاد   ورجاء وخيبة وجهاد

غير أن الأنوار أقوى نفوذاً   من ظلام يحوكه الأضداد

*   *   *

يا حبيباً سبى العقول هداه		وجزيلاً في العالمين نداه
كلما ردد اسمك العذب ذكر		رجّع القلب في الخفاء صداه

* * *

أنت تجلو عن العيون الظلاما		أنت تذكي نفوسنا إلهاما
أنت أوحيت بالعبادة شعراً		وأقمت الهزار فينا إماما

* * *

أنت أودعت في البرود لهيبا		وبعثت الجماد زهراً وطيبا
من لتلك الأسرار غير صباح		كنت منا يا رب فيه قريبا !!

* * *

إلى البنفسجة

بنـات النـدى والنـار هللـن للـضحى
وداعـاً فقـد أضـحى التـداني تنائيـا
مضى الصيف باللألاء، بالظل، بالهوى
بمـن أرسـل الـسحر الحـلال أغانيـا
مـضى بمغـاني الـصفو والأنـس عابثـاً
وخلّفهـا تنعـى علـى الوقـت بانيـا
فرعـد وبـرق وارتعـاش وزفـرة
وويـل وليـل فـي التجنـي تماديـا
فمـا فـي المنـاحي غيـر أغبـر قـاتم
وأشـلاء أغـصان هـصرن زواهيـا
وباسـق أدواحٍ تعـرّت غـصونها
رفعـن أكفـاً للـسماء تـشاكيا
وإلـف حمـام خانـه الـصبر فـانزوى
ينـوح لـو ان النـوح يـسعف باكيـا

-٤٢-

وشـــمّ جبـــالٍ أخفــض الـــثلج عزّهـــا

وأعلـــى مـــن الأرجـــاء مـــا كـــان واديـــا

وصـــمّ صـــخور فتـــت البـــين قلبهـــا

ففجـــر ســـيلاً فـــي المهامـــه داويـــا

وآثـــار كـــأس أفـــرغ الـــدهر دنّهـــا

وأطـــلال روضٍ كـــنّ أمـــس نواديـــا

خلـــون عـــدا مـــن زهـــرة تبعـــث الـــشذا

فتبعـــث فـــي قلـــب الـــشجي أمانيـــا

بنفـــسجة لـــولا اخـــضرار وشـــاحها

لمـــا شـــمت فـــي الفيحـــاء أخـــضر زاهيـــا

تجيـــل عيونـــاً قـــد تكحلـــن بالـــدجى

يطـــوف بهـــنّ الـــدمع رائـــح غاديـــا

عـــذارى حييّـــات تـــسربلن بـــالنهى

يوصوصـــن مـــن خلـــف الـــستور تفاديـــا

عـــوانس لا يـــصبو إلـــيهن مغـــرم

يـــواقظ غـــالبن الأســـى والعواديـــا

* * *

بنفسجتي صبراً على الجور والقلى

فإن جميل الذكر ما كان باقيا

فخار رياحين الرياض دعابة

ومجدك أن تضحي عزاء وآسيا

فهن إذا هبت عليهن صرصرٌ

سللن سيوف الهجر بيضاً مواضيا

وأنت إذا جارت عليك يد النوى

أعدت أديم الجو أزرق صافيا

* * *

شوقي !...

هـزوا الغـصون لعلـه نـائمْ   سكران في عش الهوى حالمْ

فالخلـد فـوق رياضـه حـائمْ

الـروض خلـوٌ والفـضا قفـر   لا شـدو شـادٍ هاجـه العطـر

الـريش فـي أعـشاشه نثـر   والعـين لا نـور ولا جمـر

ورقـاء نوحـاً فالأسـى غمـر   مـات الهـوى والحـب والـشعر

كانـت أغـانٍ، وقعهـا الـسحر   حسب الأغـاني تنـدب النـاظم

قم وارثِ نفسك لن ترى شاعر   يرثيـك عفـو القلـب والخـاطر

وضـح النهـار بيانـك الـساحر

مـن ذا ينـاجي بعدك النجمـا   ويـذيع طيـب الزهـر مـا نمـا

كنت الرسول الكاشف الظلما   بـين الخوافـق مـا شكت هما

نفحاتـه إن زدتهـا شـما   خلـت الروائـع بعـدها إثمـا

لا تعذليـه إنـه سـلمى   ثمـلٌ بنـشوة حبـه هـائم

ورق الغصون النضر أوراقه   ومطـالع الأنـوار آفاقـه

فلـئن صـبا هاجتـك أشـواقه

غررٌ زهت والشعر يا صاح نـــــار بأحــــــشاء وأرواح

وكأنهـا نـشوى مـن الـراح تختـال فــي حـزنٍ وأفــراح

فتــراود الــسكران والــصاحي وتـؤجج الأشواق فـي اللاحـي

أومـــيض بـــرقٍ بـــين أدواحِ أم شـعر شوقي فـي الـدجى الفـاحم

* * *

مـن للحـزين إذا نـأى الركـب أو للطـروب إذا صـبا القلـب

أو للقـــوافي شـــفّها العتـــب

مـا فـي الربـا غـصنٌ ولا ظـل إلا انحنـــى والـــدمع منهـــل

هل فـي الرياض لـشاعر أهل غمر الرياض الحزن والمحل

هــذا صـــدى ألحانـــه يتلـــو إن الخفـــوق لقلبـــه شـــغل

يـا ذا الجنـاح أشـاقك الرمـل أم قـد تجهـم جـوك الباسـم

صـبٌّ تحطـم كأسـه البـاقي فمــضى بـــلا راحٍ ولا ســـاق

متــــزوداً عبــــرات مـــــشتاق

هو فـي الكـروم يجـدد العهـدا هو فـي الخلود يعانق المجدا

هو في الجنـان يسامر الوردا هو فـي النشيد يصوغه عقدا

هامــت عـرائس شـعره وجـدا يبكــين فيـــه الــشاعر الفــردا

وجــرى النـــسيم بـــذكره نـــدا إن النـــسيم بـــذكره غـــانم

غنى لنا دهراً فأصبانا   وبكى على الماضي فأبكانا

هل للهبا المنثور ما كانا

قم واسقنا من خمرة الحب   واعزف على قيثارة الصب

هذي بقاياها على الترب   طرحت بلا روح ولا قلب

والهفة الفصحى على القطب   وعلى هدير الجدول العذب

أمعلل الأحباب بالقرب   إن الحبيب من النوى واجم

شعر الأمير أجارك الصبر   لا أنت مؤنسنا ولا الذكر

لأرى الأسى أضناك يا شعر

أرض الكنانة من يعزيها   من بعد ما أصفت نواديها

فلقد مررت على مغانيها   فرأيت دمعاً في مآقيها

كان النخيل يُظلّ شاديها   واليوم جرداء روابيها

سكن الحنين بسفح واديها   فعلى الحنين تحية الراحم

* * *

لبنان الحنون

حيــا الحيــا لبنــان روض البهــا

وصـافحته الـشمس عنـد الـصباح

طــود أثيــل النبــت عــالي الــذرى

لـم يثنـه فـي الـشيب هـول الكفـاح

فلـــيس فـــي لبنـــان إلا الـــصِّبا

ولـــيس فـــي لبنـــان إلا المـــلاح

يـــا أهـــل لبنـــان كفـــى منّـــة

مـا فـي شـذا أدواحـه مـن سـماح

وان يـــبض الـــصخر قطـــر النـــدى

وان تؤاســـي الـــصب ذات الجنـــاح

* * *

يــا ليتنــي الأرزة فــوق الربــى الــ

ـشماء، لا تـصفر وقـت الخريـف

منـــــازل للطيـــــر أغــــــصانها

خـضراء تــزري بـــالبلاط المنيــف

ان مــرّ فيهــا الظــاعنون الــضحى

جــادت علــيهم بالظليــل الوريــف

لا ينــــشر الأفيــــاء إلا العلـــــى

ولا يهــــز العطـــف إلا الـــشريف

لــو لــم يكـن فـي الكـون ظـل لكـا

ن الغــاب قفــراً والهجيــر مخيــف

* * *

يـــا ليتنـــي ورقـــاء وادي الحمـــى

لا تهجــر المخــزون حتــى يطيــب

مـــا تملــــك الأطيــــار الا الغنــــا

تبدي بـه فـي الشجو عطفاً عجيب

ورقـــاء غنـــي لا جفـــاك الكـــرى

ولا أذاب الـــــسقم روح الحبيـــــب

هـذا ارتـدى بالحـسن بعـد الـونى

وذا طـــروب كــان قـــبلا كئيـــب

لـو لـم يكـن فـي الكـون لحـن لكـا

ن الجـــو قفـــراً والأغـــاني نحيـــب

*   *   *

يـــا ليتنـــي الزهـــرة رمـــز الـــولا

نجـوى الأمـاني فـي ثغـور عـذاب

أمــــا تــــرى الروضــــة مرويــــة

تجـــود بـــالآلاء جـــود الـــسحاب

هـذا عبيـر الـروض مـلء الفـضا

ومـا يـزال الطيـب مـلء الإهـاب

يـا زهـر رفّـه عـن صـدور الـورى

يـا زهـر فـي عطفيـك لـين الجـواب

لـو لـم يكـن فـي الكـون زهـر لكـا

ن الـروض قفـراً والخزامـى تـراب

*   *   *

يــا ليتنـــي لألاء نهــر «الــصفا»[1]

أنـــى جـــرى مجـــراه يـــشفي الأوام

عـذب خفيـف الجـري غمـر النـدى

والمـــورد العـــذب شـــفاء الـــسقام

يـا نهـر بـارِ الـريح جـوداً علـى الـ

ـــــقفار، لا تَـــسْتَنْدِ إلا الغمـــــام

مــن لــم يهــب ممــا حبــاه العلــي

فقـل علـــى الرحمـــة فيـــه الـــسلام

لــو لــم يكــن فــي الكــون ري لكــا

ن المـــرج قفـــراً والجـــواري ضـــرام

* * *

ياليتني فـي الفضل شمس الـضحى

حـــرب علـــى الظلمـــاء لا تـــستنيم

---

(١) الـصفا : نبـع فـي لبنـان قـرب عيـن زحلتـا، يتكـون منـه نهـر الـدامور، وقد جرّ الأمير بشير الشهابي الثاني مياهه إلى بيت الدين وجوارها.

كأنـهـــــا والكـــــون إذ تنجلــــــي

أمّ تـهـــاوت فـــوق مهـــد الفطـــيم

تجفــــف الدمعــــــة فــــي خــــده

ومــــلء عينيهـــا الغــــرام القـــديم

فخــــذ مــــن الآلاء حــــظ الجنــــا

ن النـضر واعطـف عطفهـن العمـيم

أكـرم بأهـل الفـضل فــي ذا الحمــى

لا يتركـــون الفـــضل قفـــراً يتـــيم

* * *

فدعوني على الخميلة أعدو

طلـــع الزهـــر فـــي نـــديّ جنانـــه

وانتـــشى القلـــب مـــن رحيـــق دنانـــهْ

مرحبـــاً بـــالربيع، إن هـــو غنـــى

أو بكـــى عاشـــقيه فـــي نيـــسانهْ

لـــم يغـــب وجهـــه الجميـــل ولكـــن

كـــان فـــي القلـــب مـــاثلاً لعيانـــهْ

أقبـــل الـــسوسن الملـــثم يُبـــدي

لاعـــج الـــشوق فـــي نـــدى أجفانـــهْ

مـــزق الوجـــد عـــن ســـناه نقابـــاً

فبـــدا فـــي ارتعاشـــه وافتنانـــهْ

فهـــو بـــين الغـــصون جمـــر تلظّـــى

وهـــو مثـــل الفـــؤاد فـــي خفقانـــهْ

عــزّ بعــد الهــوان والــذل، مرحــى

لتهاديـــه فـــي الربـــى وهوانـــهْ

والمــروج الخــضراء ماجــت خمــاراً

واحتفـــاء تلـــج فـــي تبيانـــهْ

كلمـــا هـــب مـــن شـــذاه نـــسيم

هاجهـــا شـــوقها إلـــى أغـــصانهْ

وشـــقيق النعمـــان لا يتـــوانى

عــن شــكاة مــن فــاتني نعمانــهْ

والهــزار الغريــد يمــرح فــي الأفــ

ــق طروبــاً يفــتنّ فــي ألحانــهْ

* * *

فــدعوني علــى الخميلــة أعــدو

مثــل عــدو الوليــد مــع حُملانــهْ

* * *

نجِـــم

أقـول لـنجم فــي الـسماء يلـوح لــي

أأنـت حـديثُ العهـد أم كنـتَ سـابقا؟

ألا إننـــي روحٌ تجليـــت فـــي العـــلا

وقـد كنـت فـي الـدنيا محبـاً مفارقـا!

* * *

الياســـمين

ألياســـمين وقـــد تفتـــ ـــح فـــي فـــؤادك مثلـــه
لا يحتــــــوي طيبـــــاً إذا لـــم يـــشتملنا ظلـــه
الطيـــب منـــك رســـالة والياســـــمين أهلـــه
فكأنـــك الـــروض ضُـــحى وكـــأن ذكـــركَ نحلـــه
يهفـــو فيرتـــشف الحـــلا وة والـــصبابة شـــغله

* * *

أنت أُنسي إذا شعرت بروحي نسمة العطف في الأضالع تسري
أفسد الأدنيـاء صفوة كأسـي وتبـسمت فـانجلى ليـل عـسري

* * *

مُلئـــت وحـــشتي أُنـــساً وانجلـــى الهـــم الدفيـــن
وهفـــت بـــيض الأمـــاني فـــشفت وجـــد الحـــزين
كـــدت مـــن يأســـي أشـــ ـــك الأمـس فـي نـور اليقـين
يـــا أناشـــيد الهـــوى عـــو دي إلـــى الـــصب المهـــين

أشـــرق العـــدل ولاح الحـــ — ـــق فـــي الـــصبح المبـــين

يـــا وقـــى الله الأميـــر الـــشـ — ـــهم مـــن مكـــر اللعـــين

صُـــعق الأنـــذال يـــوم الجـــ — ـــهر بالـــصدق المكـــين

حـــسبهم مـــا نلـــت مـــنهم — مـــن حـــزازات بلـــين

هـــم كالـــسوس أضـــروا — بعمـــاد الراشـــدين

هاتهـــا صـــفوة خمـــر — فـــي كـــؤوس المنـــشدين

يـــا رعـــى الـــرحمن عهـــداً — هـــو عهـــد الـــصالحين

لـــك بغـــداد علينـــا — ذمـــة الفـــضل المعـــين

*   *   *

الشاعرة

دفعتُ بشعري باب الخلود … وحطمت مزلاجه ساهيةْ

فألفيتني بين حور الجنان … يقبلن جبهتي العاليةْ

أنا الشعر تشدو به لهفة … فتطرب في الظلمة الداجيةْ

أغني لتصغي وحوش الفلاة … وتأنس بالرقة الطاميةْ

وماذا على الشعر لو أنني … صبوت إلى الرحمة الفاغيةْ

أصور رسماً له روحها … جناحاه من رحمة ضافيةْ

فإني من الطير قد حلقتْ … لتحيا مسهّدة هاذيةْ

تسابق لحن الصبا والفضا … مليء من الفرحة الزاكيةْ

هو الشعر روح الحياة وهل … تروق بغير الهوى قافيةْ

يتعتعني الوحي ما أشبهت … كواكبه النجمة الهاويةْ

فأشربها والهوى قبلتي … يصب بأقداحه ثانيةْ

فإن كان ذنبي هذا الغناء … أُناشد فيه المنى الباقيةْ

فحسبي من الفن ألا أكون … سوى النار والنسمة الجانيةْ

* * *

بلا عنوان

أنـــا طـــائر لـــلأرض أنـــزل أبتغـــي

قوتـــاً يـــساعدني علـــى الطيـــران

إن دوحـــة نزلـــت بأعمـــاق الثـــرى

فلكـــي تنـــال تعـــاليَ الأغـــصان

* * *

الحُـــبُّ

يــــا واهـــب العـــشاق نـــضرته

كـــالزهر يلهـــب حـــسنه ورقـــه

لا فــــرق إلا الطيــــب بينهمـــا

وبمـــا تفـــرّد جـــلّ مـــن خلقـــه

كـــل يبـــاري فـــي بدائعـــه

محبوبـــه ذاك الـــذي علقـــه

غـاص الـورى فـي موجـة دفعـت

مـن سـحره لمـا اصـطلوا حدقـه

ووقفـــت عنـــد الـــشط أرقبـــه

فـــإذا أنـــا فـــي قاعـــه غرقـــه

لا الـسهد مـن دأبـي ولا شـيمي

لكـن طيفـاً فـي الحـشا طرقـه

مــــا الحــــب أن ترجـــو مواصـــــلة

أو أن تظـــل الـــدهرَ مـــن عـــشقه

الحــــب معنــــــى لــــست تدركـــــه

مــــا لــــم تـــرَ الأنــــوار منبثقــــه

* * *

مأتـم الـورد

عـــلام الـــروض يكـــسوه حـــداد

وأجفـــان الأقـــاحي فـــي اغتمـــاض

وأوراق الـــسحاب عليـــه تهمـــي

وعـصف الـريح يزفـر فـي الغيـاض

أهـــــذا مـــــأتم للـــــورد أم ذا

دبيـب الـشوق فـي جسم الريـاض؟

* * *

أحـــلام

رايـــة الحـــب ابتـــسام ودمـــوع   نُـسجت مــا بـين يـأس وأمـل

خفقت فوق سفين من ضلوع   تـاه فـي لـج الهـوى منذ الأزل

ذاهـب فـي الـيم باسم الله مـا   يتقـــي فيـــه ســبيل الجاهــل

فمـضى، والمـوج يحكـي سـلماً   يرتقيـــه رغـــم كيـــد العـــاذل

*   *   *

قف بنا فوق المعاني يا سفين   والـقِ بالمرسـاة عنـد المـشتري

نغمــر الآفــاق شــوقاً وحنــين   بـــشعاع الفرقـــد المنتثـــر

ونجيـل الطـرف فـي ثغر بسيم   أذهلـــت نجـــواه لـــبّ العابـــد

ماثل في صفحة الوجه الوسيم   ســورة الحــب بحــرف واحــد

جمعــت بــين نــضيد ورخــيم   يبعــث الــروح بــروض ذابــل

*   *   *

هل ترى يا صاح مثلي عاشقاً   ذاهــل اللــب نزوعــاً للخيــال

أو تــرى مثــل فــؤادي خافقــاً   لعبيـــر أو جنـــاح أو هـــلال

إن في معنى التهادي عجباً   كل محبوب على الكون أمير

-٦٣-

فـإذا هبّـت نـسيمات الـصبا يتناشـدن علـى سطح الغـدير

تلــت الأرواح مــا قــد كتبــا فانتــشت بالــشعر لا بالبــابلي

* * *

مـا لهـذا البحـر يحكـي مغرمـاً تــارة يــصفو وطــوراً يكفهــر

تعبــث الأنــواء فيــه مثلمــا تعبـث الـذكرى بـروع مـستقر

إن قضى الـدهر علينـا بالبعـاد لـم يجد قلبـي سوى أن يخفقا

أو قضى مرّ التنـائي بالـسهاد حسبي الموج زميلاً في الـشقا

دأب عــال وتفتيــت الجمــاد وضــلال المــستهام الغافــل

* * *

أعـذب النجـوى عتـاب مزجـت نظـرات اللـين فيـه بالغـضب

أيّ عهـدٍ ليـت شـعري قطعـت للهـوى روحـي ولـم تـرع الأدب

أيهـا الغائـب دعنـي لـيس فـي مــا تــراه مــن ذنــوبي مــأثم

مـا تـرى إنـي لـك الخل الـوفي لــم يفقنــي فــي هــواه مغـرم

إنمــا ذنبــي بمعنــاه الخفــي أن أثير الـشوق شـوق الـذاهل

* * *

هيكـل الحـب وقـد شـط المـزار هل لنـا من عودة ترجـى إليـك

كنـت يـا قلـب بهاتيـك الـديار فغــدت ســاكنة فــي جانبيــك

تلكمـــو أنفاســـنا المـــشتعلهْ		لـم تـزل تـذكو بـذياك الفـضاء

تلــك نجوانـــا بـــه مـــسترسله		لم تـزل تـسمو بأرجـاء الخبـاء

تلــك آيـــات البيـــان المنزلـــه		قـد خلـت مـن كـل لغـو باطـل

*　*　*

فجـع البـين غرامـي بالـصباح		فـــانزوى ينـــدب آمـــالاً عـــذاب

سـكبوا فــي كأســه نهلــة راح		ثـم قـالوا حـسبه منهـا الحبـاب

صـبحه قـد حـال لـيلاً وغـدا		روضــه الزاهــر قفــراً بلقعــا

كلمـــا حـــن هـــزار أو شـــدا		لــم يــذر فــي مقلتيــه أدمعــا

كيـف لا تـشكو العيـون الرمـدا		وهـي عن صحتها فـي شـاغل؟

*　*　*

يــا رعــى الله أويقــات اللقــاء		كـم بـذكراها أضـعنا مـن سـنين

لحظـــات كـــنّ نـــاراً وضـــياء		ليتهـــا كانـــت ظلامـــاً لا يبـــين

لـو عرفنــا مــا سـنلقى بعـدها		مــن فــراق وخفــوق وعــذاب

لرغبنـــا عـــن متـــاع عهـــدها		وغنينـــا عـــن غـــرام وشـــراب

وقنعنـــا بالأمـــاني وحـــدها		وعبـــاب مـــن لجـــين ســـائل

*　*　*

-٦٥-

ظـــلم

رفعـت لـواء للخفـوق جـوانحي ... يربـو علـى الأنـواء فـي عصفاته

قد كـان لـي قلب إذا هاض الكرى ... جفني، نـهاه الكبر عن يقظاته

واليــوم لا وســن يخــدر مقلتــي ... أو يـردع المـصدوع عن زفراتـه

مـن يـشتري قلبـاً ويمنحنـي حـشاً ... لـم يبلـها طعن الأسـى بقناتـه

كـي تلتقـي الأجفـان بعد شتاتها ... ويلـين للمغدور عطف أسـاته

قلـــب إذا ســـدل الظـــلام نقابـــه ... جزعت عليـه الطير من رعشاته

خفـقٌ كمـوج البحـر فـي جيشانه ... نبض كسلك البرق فـي نبضاته

صور تمر علـى اختلاف شؤونها ... عرضت حياة القلب فـي نزواتـه

أقـصر حـديثك يـا فـؤاد فـإنني ... أخشى انفجار النار من كراتـه

مــا كنــت مهـذاراً بعهـد سـالف ... أيـن الوقـار وأيـن ظـل هداتـه

مـا أنـت تهوى كـي تـساهر كوكباً ... تـتراوح الأطيـاف فـي ومضاته

لو كنت أفقه ما الذي تفضي بـه ... لـنشرت بـرد الوشـي من نفثاتـه

أفصح فقد فعل الوجيب بمهجتي ... مـا لـيس يفعلـه الهـوى بقواتـه

شوق وهل تشتاق من عصفت بها ريـحُ الإبـاء وطـرزت آياتـه

ماذا يفيد الشوق في عصر غدا عمر الوفا وقفاً علـى قبلاتـه

لو كان يدري الناس حقاً ما الهوى لـسموا بـه ولقدسـوا جمراتـه

مـا كـل مـن ذاق الـشفاه بناهلٍ ورداً يـذكي طهـره نزعاتـه

عللـت قلبـي بـاليراع وأنـسه كـي لا تمـازح نقمـة بدواتـه

فـإذا جناحـك يـا فـؤادي مخضب وإذا الـدماء تـسيل من جنباتـه

* * *

يـا ظلـم جـردت الحمـى أعلامـه ومنعـت جـود الله عـن جناتـه

أسـفي علـى قطـر ينفـر آلـه وعنـت فطاحلـه لحكـم بغاتـه

إن أمّـه الغربـاء أمطـرهم نـدى واخضر عـود النـد فـي فلواتـه

وبنـوه يطـوون المجاهـل والفـضا ونفوسـهم تـصبو إلـى نـسماته

إن رحـت أبكـي إنمـا أبكـي علـى قطـر تمزقـه سـيوف حماتـه

* * *

الفجــــر

يــا وردتـــي مــن ذا ســقاك النــدى

ويــث أســرار الهــوى فـــي العيــون

وأيقظــــــــت أنفاســـــــه ســـــــحره

هــذي الأقــاحي الــساحرات الجفــون

مــن ذا الــذي وافـــى علـــى غــرة

فهاجــــت الأرواح بعـــد الـــسكون

وأفـــرغ الأطيـــاب فــــي روضـــــة

عطفـاً علـى العـود الـشجيّ الحـزين

وأشـــعل الأضـــواء فـــوق الربــــى

وأنعــش الــصادي وفــك الــسجين؟

* * *

مـــن ألـــبس الـــوادي وشـــاح البهـــا

وعلّـــم الأطيـــار هـــذي الفنـــون

وفـــضض الأمـــواج كـــي تنجلـــي

مرآتهـــا عنـــد انحنـــاء الغـــصون

* * *

هـــل للنـــدى والـــسجع أم للـــضيا

يـــا وردتـــي أم للـــشذا تبـــسمين

إن كنـــت نـــشوى الطـــل لا تبخلـــي

أو كنت نشوى السجع لِمْ تضمرين؟!

أنـــا حبيبـــي الفجـــر بـــين الـــورى

ويـــا لنـــا للفجـــر مـــن عاشـــقين

أهـــوى انبثـــاق النـــور يـــا وردتـــي

وأكـــــره الظلمـــــاء والظـــــالمين

* * *

يــا ليــت فجــري بعــد ليلـــي بـــدا

إذن لفقـــت الـــورد والياســـمين

لأطربـــــت أوتــــار قيثـــــارتي

شـيخاً طـوى عهـد الـصبا والحنـين

وجـــددت عهـــدي دواعـــي المنـــى

وفـــاح عطـــري بـــين حـــين وحـــين

*   *   *

المذيــاع

إن تــذيعي نغمــة الحــب فــلا   تكتمي يا ريح عني النفحات
موجة الـشوق وما يطفو على   زرقة الأفـلاك بـين الومـضات
كلهــا تحمــل أنبــاء الهــوى   وتـــوافيني بتلــك الــذكريات
وعلى الـسحب تجرّ الـذيل في   عبسة الليل وصبح البسمات
فــي ظــلام الليـل أيـدٍ خفيـت   تـسلب الأوتـار أحـلام الحيـاة
تتمطــى فعــل ســكران علــى   ســرر الــريح وأنغـام الحـداة
لــو يطيــق القلــب لاســتنزفته   أو تطيق العين أهدت لمعات
تلك أشواقي على متن الهوى   فاحذرن منها سعير الزفرات
كلمــا حاولــت نــسيان الهــوى   جـدد العهـد صـفاء الزفـرات

* * *

أيها الخفاق في عرض الفضا   فوق مغنى الطير رهن النزوات
ناشـــراً ألويـــة الزهـــو علـــى   وحشة الليل وصمت الفلوات

ثمــــلاً والعــــين منـــــه جــــذوة   بـــين أرقــام كأهـــداب المهـــاة

جامعـاً مــا بــين أرواح الـصبا   وقلـوب سـامها ضـرّ الـشتات

لـــوذعي يفقـــه الرمـــز ومـــا   أودع القلــب حفيـف النـسمات

عقــد الأنـــس علـــى أســـلاكه   قبـــة تـــأوي إليهـــا النغمـــات

تجمـــع الأزمـــان والبلـــدان فـــي   رقعـــة دون اتـــساع الرقعـــات

أنهـــر ســـود كحيـــات لهـــا   في سكون الليل بيض الحسنات

دفقـــات النـــار فيهـــا جـــدول   صــاخب الأمـواج عــالي الوثبــات

معجـزات الفـن أنطقـن الهـوا   كبّــر الجــن لتلــك المعجــزات

* * *

أيهــــا المـــصلوب لا ذنـــب ولا   خــامرت لبــك أغــراض الأذاة

يا رسول الحب في البعد وفي   طرب القلـب، وسـحر اللفتـات

سـجل العهـد وبلـغ مـن نـأى   أن للأشـواق فــي الجـو رواة!

* * *

ألا يا بحرُ..

هـــديرك أم أنـــين الظاعنينـــا ... وموجــك أم دمـــوع الواجـــدينا

ألا يـــا بحـــر حـــدثني فأشـــكو ... عـــسانا نلتقـــي روحـــاً ودينـــا

أتهتـــاج الزوابـــع منـــك قلبـــاً ... شـــفيقاً مائجـــاً عطفـــاً ولينـــا

فيخفـــق قلبـــك الخفـــاق حينـــاً ... ويعـبس وجهـك الوضـاح حينـا

وتفـصلك الـشواطئ عـن حبيـب ... وترعـــى عهـــده رعيـــاً أمينـــا

وتحيـــي الليـــل همهمـــة ووجـــداً ... معيـــداً ذكريـــات الغابرينـــا

أيـــشقى مثـــل شـــقوتنا خـــضمّ ... ويجهـــد مثـــل جهـــد العالمينـــا

* * *

ألا يـا بحـر كـم أضـفيت عرفـاً ... وكـم هاجـت لواعجـك الحنينـا

وكـم لمعـت بـصفحتك الـدراري ... تـــسامرها عيـــون العاشـــقينا

وكـم لثمـت شـفاهك مـن ثغـور ... مرطبـــة هيـــام الظامئينـــا

وكــم جيــد نثــرت عليــه دراً   تجمّــد مــن دمــوع الغارقينــا

وكـم واريــت مــن قلــب كئيـب   تحــول فيــك مرجانــاً ثمينــا

غمـرت النـاس فضلاً لا يضاهى   وأجزلــت النــدى للرائــدينا

ولكنـــي علـــى فقـــري أُزجـــي   نـــوالاً دون سُـــؤْل الـــسائلينا

منـاي الموجـة البيـضاء تـذري   علــى روحــي صــفاء الراقــدينا

*   *   *

إلــى القَمَــر

يــا أيهــا القمــر المختــال فــي الأفــق

رفيـــق كـــل شــــريد دائــــم القلـــق

حبيـــب كـــل كئيـــب لا حبيـــب لـــه

نجــيّ يوشـــع فـــي الأهـــوال والفـــرق

إن كنـــت خلـــواً جمـــاداً لا حيـــاة بـــه

ولا بلابـــل فـــي الأغـــصان والـــورق

أو كنـــت لا كـــوثراً تجـــري منابعـــه

بـين الهـضاب وبـين الـورد والحبـق

فأنــت طيــف لــصب شــاعر دنــف

يهـيم فــي الظلمــة العميـاء بـالطرق

كأنــــه بــــين أحيــــاء النجــــوم إذا

عـمَّ الهـدوء وحانـت سـاعة الغـسق

يقلـب الطـرف فـي مـا حولـه شـغفاً

بكـــل روض ونجـــم فـــاتن الحـــدق

يزيـــده الـــشوق نيرانـــاً فيطلقهـــا

ملء الفضاء بوحي الوجد في الحدق

*   *   *

ترى شعاعك من نـور الشموس همى

أم مـن شـعاع عيـون همـن بـالأفق

أم أنــت بحــر ضــياء لا حــدود لــه

تـدفق النـور مـن شطيه فـي الـشفق

تجـري الأمــانيُّ فيــه وهــي ســابحة

جـريَ القـوارب فـي أمواجهـا الـزرق

*   *   *

أخــال واديــك فــي الأمــساء أنديــة

تــضم نخبــة أهــل الفــن والعــشق

فمــا رفعــتُ إليــك الطــرف ناعــسة

إلاّ لمحــــتهم فـــــي كـــــل مفتـــــرق

فتلـــك أعيـــنهم أنوارهـــا اجتمعـــت

فــي عينــك الثــرّة الــنجلاء بــالأرق

*   *   *

- ٧٦ -

عَروسُ الشِعر

عروسةَ شعري أين أنت فنلتقي

لقد زاد بعد الهجر حرُّ التشوق

تبعتكِ لا أدري مكانك إنما

لمحتكِ ليلاً بين ظل ورونقِ

فهمتُ بوادي الشعر أنشدك الهوى

وقلتُ أيا كأس الغرام تدفقي

وسرعان ما غاب الخيال مودّعاً

فأصبح شغلي بالحنين الذي بقي

*   *   *

سألت نجوم الليل عنك فخلتها

عيوناً تغاضت عن ضياك لتتقي

وساءلت أزهار الربى: هل عشقتها

فقالـــت بلـــى! لكنهـــا لـــم توفـــق

وساءلت غصن البان قال سرقتها

ألا إنهـــا إن تـــأمر القلـــب يخفـــق

وقهقهت الأنهار هاتفة بنا

لقد كانت الحسناء تأتي فتستقي

ولكنها غابت عن العين بعد ما

أساء إلى عشاقها كل أخرق

***   *   ***

صحْـــرَاء

هـــلّا علمــت بــأن قلبـــي قبــل أن

يغريــــه حبــــك كـــان كالـــصحراء؟

لا واحــــــة فيـــــه تــــرفُ بظلهـــــا

طيــر الفــلا طربــاً علــى الأرجــاء

هيـا انظـري مـا قـد خلقـت علـى المد

ى مـــن أعجـــب الأحـــوال والآراء

حتـــى البــوادي قــد تبــدت روضــة

خــــضراء طيبـــة الـــشذا والمـــاء

ولـــو ان أهــل الربيــع حلــوا ســاحها

لـــسرت إلـــيهم نفحـــة الأفيـــاء

* * *

الربيــع

بعثـت المنـى والـدهر خـلٌّ مـساعف

أيــا زهــر، والمــشتاق راج وخــائف

كــأن الــدراري فــي خيــالي طيوفــه

إذا نمـت نـاداني مـن الغيـب واجـف

وقلــت لربيــع فــي الجبــال معــرّس

وقـد سُـترت بـالثلج تلـك المـشارف

ومــيض بــشعري مــؤذن بــصباحه

ونــار بقلبــي والــسحاب تكــاتف

دعــوني أكــن زهــر الربيــع فإنــه

ليغمـــره ثلـــج ويحييـــه هـــاتف

أفــاق علــى شـدو الهـزار مـضمخاً

بأطيابــــه، لله تلــــك المعــــاطف

فأبــــدع، والفــــن المخلــــد نــــشوة

وصــوّر، والــروح المــشرد هــاتف

غــصون إذا حــل الربيـــع بظلهـــا

ترامـــــت إلـــــى الـــــرقص الـــــدمى

فأمـــسكن بالأيـــدي يقـــربن بينهـــا

ومـن حولهـا الأطيـار، تلـك المعـازف

فجـددن عهـد الأنـس غـض شـبابه

ونابـت عـن القفـر الجـديب الطرائـف

فــلا تــرب إلا اخــضَرَّ يجلــو خريــده

ولا غـــصن إلا دغدغتـــه الهواتـــف

كـــأن هيـــام الـــريح جُـــنَّ جنونهـــا

بـــشائر وحـــي أو حبيـــب يكاشـــف

تمــدّ لـــه الأغــصان أفيــاء وشــيها

فتزهـــى أماليـــد الـــشآم الرفـــارف

إذا حفلت روض الشآم دعونني

فأقبلـــت أطـــري حـــسنها لا أُخـــالف

أناشــد فــي عــرس الربيـــع حمامــة

تغـــرد للأزهـــار والطيـــب عاصـــفُ

وادي الهـوى

ربـــوع زحلـــة، حيـــا الله مغناهـــا

وزادها مـن غـوادي الفـضل أسـناها

واديـك وادي الهـوى هاجـت بلابلـه

علـى الغـصون فمـا تهـدا حناياهـا

صفا الـزلال وطـاب الكرم واضـطرمت

جوانـــب الـــسفح إشـــعاعاً وأمواهـــا

كـم نزهــة بـضفاف النهـر يـذكرها

كأنهـــا مزجـــت بـــالراح ذكراهـــا

ربـــوع زحلـــة هـــاتي الكـــرم نعـــصره

فـــإن فيـــه أحاديثـــاً طويناهـــا

كانـت بنـا . ردحـاً . للحسن جولتـه

فليغفـــر الله للحـــسن الـــذي تاهـــا

لـم يبـق منهـا سـوى الآثـار تنثرهـا

ريـح الـصبابة . والآفـاق مـسراها

*   *   *

لله ذكـرى الهـوى يـوم التقيـت بهـا

تجلـي الـسواد عـن الآمـال عيناهـا

أشـتاق طلعتهـا مـا البعـد فرّقنـا

يـا ليـت للـشوق حـداً حـين ألقاهـا

استعذب الطعنـة الـنجلاء مـن يـدها

وأسـتطيل مـدى الأيـام لولاهـا

وأطلـق العـين ترعـى فـي محاسـنها

وأمـلأ القلـب مـن ترديـد ذكراهـا

مـواطن الـروح لا جفّـت جوانحنـا

شـوقاً إليـك ولا قـرّت حمياهـا

* * *

يـا روعـة الجبـل الـشماء قمتـه

يـا حبـذا منـك مثواهـا ومغـداها

تـأوي الـدراري إليهـا فـي دجـى حلـك

يـشوقهن ظـلال فـي زواياهـا

يرقصن حينـاً علـى الأمـواج فـي ولـه

والنهـر ينـشدهن اللحـن تيّاهـا

أو ينحـدرن إلـى شُـم الجبـال ومـا

يطـأن أجـرد إلا اخـضَرَّ أو بـاهى

أو ينـــسللن إلـــى الغابـــات نائمـــة

يـــوقظن فـــيهن أرواحـــاً وأشـــباها

هـذي العناقيـد مـن راح ومـن ثمـل

رجـــوعهن إليهـــا كـــل دنياهـــا

كانـــت لهـــن عقـــوداً يـــزدهين بهـــا

من قبل أن تصبح الأغصان مهواها

حتى إذا انجاب ستر الليل وانهزمت

جيوشـــهن وبـــات الغيـــب مثواهـــا

نـــسينها آن لاح الفجـــر مفتـــضحاً

دمـــوعهن التـــي غمـــت حفاياهـــا

كـــروم زحلـــة نـــامي فـــالنجوم هنـــا

يقظـــى وهدهـــدة الأمـــواج أشـــجاها

* * *

إلى فـاطمـة[1]

- ١ -

سـكرت بخمـر الله مـن نبعـة الهـوى

مشعـشعةٍ بـالنور والعطـر والنـدى

معتّقـــة رغـــم اخـــضرار دنانهـــا

مـــصوّرة فـــي كـــل غـــصن تـــأوّدا

فكـل مُغـنّ لـم يـذق طعمهـا هنـا

وكل غويّ عبّ من كأسـها اهتـدى

حـصان كأقـداح الـشراب وضــاءة

ووشـــي ربيـــع فـــي سـطور تجـدّدا

تجيـل عيونـاً فيـك وهـي مـشيحة

فـتعلن مـا يخفـى وتكـتم مـا بـدا

---

(١) هي الشريفة الآنسة فاطمة اليَشْرطية كريمة الشيخ علي اليشرطي رأس الطريقة الشاذلية في مدينة عكا بفلسطين.

فخـذ مـن يـد الحـسناء مترعـة بمـا

أفاض عليها القلب من رجعة الصدى

- ٢ -

حـلا الـسهاد وطـاب الأنـس والـسمرُ

وأقبـل البـدر فـي ركـب الألـى سـفروا

يطــلُّ مــن غابـــة خـــضراء وارفـــة

يزيـد فـي حـسنها التغريـد والعطـر

ألقـــى عليهـــا حبـــالاً مـــن مفاتنـــه

يكـــاد منهـــا ظـــلام الليـــل يـــستعر

مـضى الزمـان ولـم تـذهب نـضارتها

كأنمـــا قـــد ســـقاها الحـــب والـــذكر

أممتهـــا ونجـــوم الأفـــق قافلـــة

دليلهـــا البـــدر يبـــدو ثـــم يـــستتر

تهــيم فـــي رحبـــة الآفـــاق شـــاردة

هيـام ظعـن إذا لاح الـدجى نفـروا

بعـض فـرادى وبعـض بينهـا زمـر

فـي مثـل إلفـة عـشاق لهـم بـصر

ورحت أصغي فما زاد الحديث على

قول النسيم بأن الصبح يزدهر

وأن فاطمة الزهراء طلعته

في بردتيها توارى الشمس والقمر

صوفية القلب ملء العين أفرغها

في قالب أشرقت في صوغه الغرر

هي الشباب وما غضّ الشباب سوى

نضارة القلب إذ تسمو بها الفكر

كأنما لمسات الخير بادية

على محياك أمواج لها صور

من كل عاطفة شماء راوية

روائع الفضل لا لغو ولا هذر

شبه المياه على اللألاء دافقة

بين الخمائل والأزهار تبتدر

هوى الفواطم بعض الدين متعته

إن الفؤاد بريّا الحب مختمر

* * *

لما رأيت جميع الصحب قد هتفوا

جهراً بفضلك خلت الطير تعتذر

لطالمـــا حـــسدت مـــا راق مـــسمعها

مـن كـل معنـى شـريف اللفـظ مبتكـر

أنـت الهتـوف وترجيـع الحمـائم مـا

بين الغصون صدى الأحباب ما شعروا

لـو قـد ملكتِ من العقيان ما ملكت

يمنـاك مـن نعمـة الأفـضال تنهمـر

لكنـت أثـرى مـن الأكـوان كلهـم

وكـان كـل شـعاع فيـك ينحـصر

يـا بـسمة بـشفاه الفجـر بارقـة

مـن ذا رآك ولـم يفـتن لـه بـصر

لولاك لم يبق لـي فـي الربـع من ثقة

أو حسن ظـن ولـي من فعلهم عذر

أُسـائل الـنفس إذ أصـغي للـؤمهم

ألـيس بـين الـورى شـهم إذا ذكـروا

حتـى طلعت علـى الآفـاق فـي سحر

فكـان للفجـر مـن أنـوارك الظفـر

مـا أنـت إلا نـسيم الروض هبَّ علـى

الأغـصان ينعـشها والـوهج مـستعر

هفـا الكئيـب إلــى ناديـك فانقـشعت

عنــه الغيــوم ولاح الفجــر واليــسر

فمـــا لقينــــاك إلا استأنـــست كبـــد

ولا ذكرنـــــاك إلا هاجنـــــا الأثـــــر

الأنـــس عنـــدك تـــسبيح يرافقـــه

شـدو الـهـزار ونجـوى الله والـسور

لله فرعـــك فـــي العليـــاء متـــصلاً

بجنــة الخلــد يعلــي مجـده القـدر

كــأن عينيـك فــي الجنــات نــاظرة

أنــى التفــت يــشع النــور والزهــر

أشـتاق ظلـك ممـدوداً علــى سـعة

يؤمـه فـي الهجيـر البـدو والحـضر

* * *

أحمد شـاكر الكرمي[1]

حُرِمـتَ حنـان الأم والأخـت والـصفا
وعـشتَ غريبـاً خـافق القلـب نائيـا
ولمـا عـراك الـداء لـم يُجـدِ طـبهم
ولا عرفـوا سـراً لـدائكَ شـافيا
تركـت بجـو الـدار أبهـج صـورة
وقـد صـنتها بعـد العبـاد تفاديـا
كأنـك بـاقٍ لـم تغـب عـن عيوننـا
ولا عـصفت ريـح تزعـزع ناديـا
فلمـا دهـاك المـوت أصـبحت لا أرى
سـوى القبـر ملهـوف الجـوانح باديا

---

(١) أحمد شاكر الكرمي أديب وناقد ومترجم فلسطيني الأصل، ولد في (طولكرم)، ودرس في الأزهر، وعاش في دمشق حيث أصدر جريدة (الميزان) عام ١٩٢٥. توفي بداء الصدر عام ١٩٢٧ وكان أحد كتّاب مجلة «العروس».

تـــضمّك أُمّ كنـــت قـــرّة عينهـــا

وكنـت إليهـا تـائق الـنفس صـاديا

ومـن حولـه نـهر مـن الـدمع صاخب

تفـــرع مـــن كـــل العيـــون ســـواقيا

وكنت أُمنـي الـنفس أن سوف نلتقي

وأن لـــيس بـــدّ مـــن رجوعـــك ثانيـــا

فأهرقـــت كأســـي لا أريـــد تعلقـــاً

بحبـل حيـاة لـم تـذر قـط صـاحيا

لعـلَّ للأرواح

بينـي وبـين الـشعر عهد علـى ... طول المـدى أصبو إلـى عذبـه
تــزاحم الأحــلام فــي خــاطري ... تــزاحم الأشــجان فــي نـهبــه
يلـوح فـي عينـي عهـد الـصِّبا ... مــا غــرد القمــري فــي دربــه
أطيابــــه فائحــــة روضــــها ... تجـري بـه الأنهــار فـي دربـه
غـــاب ظليـــل طلّـــه خمـــرة ... ولـو همـت سـيلاً علـى ثوبـه
ظـــل ظليـــل فيـــؤه رحمـــة ... وإن طفــا المـدرار فــي وهبـه
ويـــدره نـــور يـــشق الـــدجى ... ومــاؤه الــصهباء فــي ذوبــه
يـا للقـوافي يـوم تجلـى المنـى ... برؤيـــة المحبـــوب فـــي قربـــه
محـــدثات عـــن هـــوى شـــاعر ... للـــنجم للريحـــان فـــي خـــصبه
لليلـــة القمـــراء فـــي جودهـــا ... للجــانح المكلــوم فـــي نـــصبه
لنـــا جمـــال الكـــون أنـــشودة ... تعيـــدها الأصـــداء فـــي رحبـــه
مهيبـــــة بالنـــــاس آياتهـــــا ... فيمن خبا الإحساس في قلبه
لعــل لــلأرواح مــن يقظـــة ... يـشدو بهـا الخفـاق فـي كربـه

* * *

غنـاء الطيــر

قيــل لـــي والعــين ذاهلـــة إن تغنـــي تُلهمـــي الـــدهرا

أتغنـــي الطيــر مــن طــرب وهــي فــي أقفاصــها أســرى

مــا تركـت الـشعر عـن ملـل غيـــر أنـــي لا أرى شـــعرا

فجنـــاح هـــاج هائجـــه وجنـــاح قـــد وهـــى كـــسرا

* * *

اعــصفي يــا ريـــح لا تَـذَري فـــي الربـــى زهـــراً ولا عطـــرا

وابعثـــي الأنفـــاس بـــاردة جمـــداً يـــستوقف النهـــرا

وأثيـــري الوجـــد كامنـــة واهـــصري آمالنـــا هـــصرا

فأنـــا يـــا ريـــح باقيـــة للمنـــى للـــشوق للـــذكرى

أغــرس الأزهــار فــي حلمــي عــلَّ مــن أرواحهــا نــشرا

* * *

الطبيعـة

ما لهـذي الرّبـى تـضوّع عطرا | أذَكَرْنَ الأحبـاب شـوقاً فطبنـا؟!

مـــا لتلـــك الكـــروم متكئـــاتٍ | أتـــراهنّ قـــد ســـكرن فنمنـــا؟!

مُتـــع كلُّهـــا الحيـــاة فـــروض | وخمـــــار وجوقـــــة تتغنّـــــى

قل لمن باكر الرياض صباحاً | قـد حبـاك الربيـعُ مـا تتمنّـى

* * *

ما لهذا الغدير نشوان يهذي | مثـل صـبٍّ جـرى وراء حبيبـه

هائماً في الهضاب يمشي الهوينى | قهقهاتُ الحصباء ملءُ جيوبـه

أبنـــات الأثيـــر كـــنّ قـــديماً | قد عشقن السحاب وقت نسيبه

فاتخـذن الكهـوف سـتراً فكـان الـ | ـنهر دفقـاً مـن وهجهـا وصـبيبه

* * *

ما لهذي الغصون لم تخف سراً | من أحاديث تحت خضر الظلال

كـم هـزارٍ بنـى عليهـا فغنـى | وفـراشٍ يحـوم حـول اللآلـي

حـــدثيني أيــا ظـــلالُ فـــإنّي سَـــمع مرهـــف وهـــمّ مـــوال

فـي فـؤادي حفيـف غصن ولكـن لا هـــزار ولا فـــراش يبـــالي

*   *   *

ما لـهذا الجهام في الأفق يبدو مغمض العين لا هدى في مسيره

هل رأى فـي المنـام روضـاً تجلـى فـــي هـــضاب مرصـــعاً بنميـــره

أم تـــراه يطــوف بــين الــدراري باحثـــاً عـن عهـود حـب سـميره

أي نجـم زاهـي الوضـاءة يبقـى قانعـــاً بالإســـار حجبـــاً لنـــوره

*   *   *

مـا لهـذي الجبـال محـدودبات جاثيـــاتٍ علـــى عتـــوّ الزمـــان

أتراهـا عنــد الــسحاب شــفيعاً يـسأل الرفـق بالريـاض الحـسان

هـل تـذكّرْنَ يـوم كـنّ مروجـاً ســـاطعاتٍ بـــالورد والأقحـــوان؟

مـدفن الهـم لا حرمـت حبيبـاً لا زكـا فيـك غيـر زرع الأمـاني

*   *   *

مـا لهـذا الخلـيج يـزداد غيـاً لهثـــات العنـــاء فـــوق أديمـــه

أتـراه يـشتاق خـضر الـشواطي فترامـــى علـــى ضـــفاف نعيمـــه؟

زرقـة المـاء واحمـرار الأقـاحي   واخـضرار النقـا وفـوح نـسيمه

صـفحة خطهـا الجمـال فكانـت   فـي حواشـي الفـضا حـديث نديمـه

*   *   *

مـا لـهذي النجـوم مـضطربات   يتلصــصن مــن ثقــوب خفِيَّــهْ

جمـرات فـي موقـد الله تُـصلى   أم عيـون يـشهدن حـزن البريـه

أنـت فـي أكبـد الحزانـى عـزاء   وغــزاة ســلبن نــومي عــشيه

إن يـك الـشوق للنجـوم ضـلالاً   فمــن الــشوق نــشوة ســحريه

*   *   *

مـا لـهذي البيـداء صـفراء ولهـى   تـشفق الطيـر فوقهـا إن تغنـي

أتراهـا مـن فرقـة الـدوح تـشكو   أم تــرى البيــد هــيكلاً للتمنــي

أنـتِ فـي عزلـة التـصوّف دومـاً   تعبــدين النجــوم لــيلاً وإنــي

مـن رأى الـنجم قـد تـساقط حلمـاً   قـد رأى القفـرُ فيـه ظـلاً لفنـي

*   *   *

مـا لـهذي الغيـوم تـشتد جريـاً   قُـرَبُ المـاءِ قـد علـون المناكب

أجــــوار إذا أراد اغتـــــسالاً   شـجر الأيـك فـي نـسيج العناكب

يـا لَزهـرٍ إذا اسـتحم صـباحاً وغـصونٍ قـد جففتهـا الكواكـب

بصبصت أعين الطيور وودت لو ترى الروض من خلال السحائب

* * *

مـا لهـذي الزهـور منحنيـاتٍ مطرقــات رؤوســهن اكتئابــا

هل يفكرن فـي الليـالي الخـوالي يــوم كانــت غـصونهن رطابــا

أم تثــاقلن بالنــدى فتمــشت نشوة الخمر في العروق اصطخابا

ارفعـي الـرأس يـا زهـور وميـدي إن قَطـر النـدى يفـيض انـسكابا

* * *

الأدوَاح

حـــــدّثيني فإننـــــا شـــــركاء أســعديني يــا دوح حــان اللقــاء

نحـن صـنوانٍ فـي سـهادٍ ووجـدٍ وبنـــا هـــزّةُ العلـــى والوفـــاء

عشش الطير في غصونك حتى قد غدا في صدى الحفيف غناء

وفـؤادي مثـل الغـصون فـشدوٌ ومـــــرَاحٌ وعـــــزّةٌ وانتـــــشاء

عـصفت فيـه عاصفات الأمـاني خانقــاً مــلء جانبيــه ســخاء

يهجـع الكـون والـدياجي سـفورٌ ويعـمّ الـسكون بلـــهَ الـصفاء

فننــاجي الحبيــب وهــو بعيــد وإذا نحـــن والـــسهى أقربـــاء

فــإذا البـدر زارنــا بعـض حـين أشـــرقت فـــي ضـــيائه الأفيـــاء

وإذا اســتوهب النــسيم عبيــراً مــن شــذانا أو هبّــت الأنــواء

وملأنــا الكــؤوس طــلاً صــفيّاً وأفاضـــت بـــسرها الـــصهباء

راح بالطيـــب مـــثقلاً يتهـــادى واســـتجادت حفيفـــه الأصـــداء

* * *

والعَود أحمَدُ

ألبسوني من الشباب جديداً | واجعلوني فدى المعالي شهيدا
واسكبوا لي من الرحيق كؤوساً | إن في رنة الكؤوس نشيدا
وارفعوا في السماء أقواس نصرٍ | واملأوا ساحة الفضا تغريدا
فلقد عاد من أحبّ بليلٍ | فجره هدد الدجى تهديدا
ربَّ يومٍ نضاحك القلب فيه | قد دعاه التاريخ عيداً سعيدا
لبست غوطتي رداء قشيباً | واستعارت من الغرام ورودا
هي روضٌ والروض يحنو عليه | بلبلٌ ينظم الأماني قصيدا
لم تذر شدّة المظالم فيها | نضر عيشٍ بل احتوتها لحودا
فسقاها الأمير من غيث جودٍ | وكساها من الفخار عقودا
صاح فينا والجهل عمّ انتشاراً | انشدوا العلم أو تظلوا عبيدا
قد وقفتم على الحضيض وطارت | مركبات تطوي الربا والبيدا
ما لحظ الأنام نجمٌ سعيدٌ | إنما الجهل يجعل البيض سودا

-٩٩-

تلك كفّ الأمير للنور تجلو صار للفتح موئلاً وعميدا

* * *

وعلى القبر إن مررتم فحيّوا إنما الذكر يبعث التجديدا

أيقظوهم لعل فيهم عيوناً تبصر المجد قد كفاهم رقودا

واذكروهم على الدوام بدمعٍ ما علت راية الأمير صعيدا

يهتف اللحد إن تدانى ليحيا وإذا شاقنا يحيي الجدودا

* * *

أنّى للموت ما زعم؟..

طـرب الــدهر للقــريض وصــفّق　　　وشــفى القلــب بالــشراب المعتــق

ســفح الخلــد بعــد ألــفٍ تقــضّت　　　فـضلة الكـأس فـي الـرميم فـأورق

عجبــاً للــضريح يــصبح روضــاً!　　　تتنـــادى الطيـــور فيـــه وتـــأرق

أيّهــذا الخمــار فـــي كــل قلـــبٍ!　　　ثمــل الجـــو بالـــشذى فتـــألق

موكــب النــصر قــد قــدم　　　عازفـــاً أطـــرب الـــنغم

باذخـــــاً كــــان مجـــده　　　طـــأطئي أيهـــا القمـــم

*　*　*

ســرحة الخلــد قــد توشّــت رباهــا　　　بـــــالأزاهير عــــــاطرات الثغــــــور

هــا هــي الحــور حولــه راقــصات　　　يتراشـــــقن بـــــالجنى والنثيـــــر

ســابحات بــالنور، بالطيــب يجــري　　　وظـــلال الـــرؤى، حيـــال الـــسرير

صـدحات القـرار فـي مـسمع الخلـد　　　ومجـــد الآبـــاء مـــلء الـــدهور

شـــاقه الـــسبق ســـاجعا　　　فـانحنى الكـون خاشـعا

فاضــفرِ الغــار ناضــرا للفتــى المفــرد العلــمْ

.

يـا جنـان الخلـود ! إن ضـقت بابـاً لـم تـضيقي عـن الفـؤاد المبـرّح

حمــل الهــمّ والهــوى والأمــاني ولقــد طــار بــالجواد المجــنّح

يقــرع البــاب آمنــاً بعــد روعٍ ولأمثالـــه الجنـــان تُفـــتّح

حــدثينا! فمــا المــدام بأشــهى من حـديث الحبيب يـورى ويقـدح.

شـاعر الوجـد والهـوى فــارس البيــد والــوغى

يــا منايــا ترجلــي أنّــى للمــوت مــا زَعَــمْ؟

* * *

يـا نبـي الهـوى! سـماؤك مرعى العــز، والعــز صــبوة وغمــار

هل سرى في الحشا دبيب اشتياقٍ أو دعــا للجهــاد يومــاً فخــار ؟

لــم يــك للترجمــان فيــه بيــانٌ يـــتلالا كمـــا تـــلالا النهـــار

فكــأن الأصــداء وقــفٌ عليــه وكــأن الآيــاتِ كــأس تــدار

حــرّك الطـرس ينجـلِ عـــن زئيــرٍ مجلجــل

أيهــا الأُسْــدُ زمجـري! واطربـــي أيهـــا الـــرِّمَمْ!

* * *

أيهــا الفــارس الــشريد المعنّــى   فاتـك العـرش ، ذاك حـظ المغلّـب!

مــا رأى المــائتون مثلــك صــبا   يعتلـي العرش، وهـو رمـسٌ مغيّـب

كلمــــا رام معـــــشرٌ أن يقولــــوا   قلـت عـنهم، وكـان قولـك أطـرب

أجـدر النــاس بـالعروش قـريضٌ   مـــستبدٌ بالقلـــب يزهـــو ويلعـــب

كــان للــروض فوحــه   ومـــن الجـــيش روحـــه

يــا عــوالي تقاصــري   صـاحب الحـرب مـن نظـم

* * *

سادر الطـرف بـين همـسٍ ونجـوى   ما دجا الليل، أو وعى الفجر لحنا

إن رأى الطرس هاجـه الطـرس شوقاً   كهـزارٍ يـشتاق عـشاً وغـصنا

وحــشة تــسخر الولائــد فيهــا..   عاريــات الجــسوم إنــساً وجنّــا

ســاخرات مــن القيــود اعتــزازاً   بارعــات الجمــال لفظــاً ومعنــى

يـــــا دراري تـــــألقي   يــــا قـــوافي تـــدفقي

كلمــــا شــــال بحرهــــا   شـــقّ أســـطوله الخـــضم

* * *

حـــسدوه علـــى الهمـــوم، وودوا   لـــو تــساوى بالخــاملين هبــوب

جــاد بــالروح لا جبــان ولا بــاغٍ   ولكـــن كمـــا ارتمـــى العنـــدليب

ومــضات النجــوم فـــي ناظريـــه والقـــــوافي، وكلهــــــنّ لهيـــــب

يبـــــذل الـــــنفس آنفـــا إذ يـــرى المـــوت واقفـــا

ضــجّت الأرض إذ هـــوى ملـــــك الجـــــو والأجـــمْ

* * *

يهمس القلب، حين لا أذن تصغي همـــسات الهـــوى بكـــل جميـــل

إن روح الحيـــاة يقظـــة حــــسٍ فـــي ليـــالٍ موسوســـات العقـــول

تبلـــغ الـــنجم لحظـــة ثـــم تهـــوي ســـابحاً فـــي عبـــاب لـــجٍّ صـــقيل

لـــك مـــا شـــئت مـــن خيـــالٍ ولحـــنٍ ونـــــــديم وظـــــــل دوحٍ ظليـــــــل

ربَّ قلـــــبٍ تململـــــلا ... يعبـــد الحـــسن مغفـــلا

يـــا صـــبايا! هـــل الهـــوى غيـــر فـــيض مـــن الحلـــم؟

* * *

ســـال ســـيف البيـــان وهجـــاً وحـــرّاً أنـــف الكِبْـــرُ أن يعـــيش مهينـــا

وأراق الـــدماء، هـــا هـــي تنـــزو بـــين ســـحرٍ يثيـــر فيهـــا الأنينـــا

وكـــأن الألفـــاظ طـــوع يديـــه! يعتـــق العبـــد أو يفـــك الرهينـــا!

فـــإذا رقّ، رقّ مـــــاء وســـــحر أترعـــا وحـــشة الكـــؤوس حنينـــا

دمعـة الرفـق لـم تـزل... تمــلأ الكــأس والمقــل

فهـــي للـــروح نـــشوة روقتهـــا يـــد القـــدم

* * *

راح عمــر الزمــان وهــو يغنـــي بأغانيـــه يـــستزدن الـــدوّيا

يــا ومــيض البـروق فــي كـل داجٍ أي ســرٍ جلــوت ظــل الخفيــا

شـــاعرٌ أنـــت للعـــلا والأمـــاني تتـــراءى فـــي كــل عــصرٍ فتيــا

أخـرس المـوت صـوته، يــا لَغَـدرٍ خَسِىءَ الموت ، ليس يخرس شيّا!

غنّــه الـــشكر يـــافتى وانـــشد العــزّ مــا غــلا!

لـيس مـن عزٍّ بـالغنى مثـل مـن عـزّ بالـشمم!

* * *

أعيدي إليَّ...

أيامنـــا فـــي ريـــاض المنـــى أعيـدي إلــيَّ ابتـسام الـشباب

فقــد أذكرتنـــي زهــور الربـــى كـؤوس هـوى طافيـات الحبـاب

إذا العيش لـم يبـقَ فيـه سوى بياضِ المشيب وذكرى الـصحاب

فـلا كـان عـيشٌ ولا كـان مـا تجـود الحيـاة بـه مـن سـراب

*   *   *

أعيــدي إلــيَّ جنــون الــصبا فلـيس جنـون الـصبا بـالجنون

ولكنـــه الحلــم مــلء الحــشا يمازجـه سـحر بعـض العيـون

يهيـــب بقلبـــي نـــداء العلـــى شـجياً يـشق حجـاب الـسكون

فإن كـان ذا الـشيب بـدء الردى فمــا لــي ومــا لغمــار الفنــون

*   *   *

أعيــدي إلــيَّ هيــام الــصبا فــأمرح مــا بــين ســفحٍ ووادْ

وأستبق المـوج فـي الـصخب لا أراعـــي نـــصيحة خـــلٍّ وهـــادْ

وآتــي فنــون الطياشــة مــا		حـسبت الطياشـة عـين الـسدادْ

ألا رحـــم الله عهـــداً خـــلا		وكــان الـضلال وكــان الرشــادْ

* * *

أعيـدي إلــيَّ أغــاني الـصبا		فأنـشدك الـسحر تحـت الظـلالْ

تَرَجّعـه الـوُرْق عـالي الـصدى		معانيـــه مـــا بيـــنهنّ ســـجالْ

ويجري بـه النهر طول المدى		علــى معــزفٍ رصّــعته الــلآلْ

بروحـي حفيـف غـصون النقـا		يــردد لحــن الهــوى والجمــالْ

* * *

أعيـدي إلــيَّ نــشاط الـصبا		فأجهــد حتــى طلــوع الــصباحْ

وأحـسبني فـوق كـل الـورى		نفــوذاً ومجــداً ولهــواً مبــاحْ

ومــن للخلــود ومــن للعلــى		سـوى مـستهامٍ عزيـز الجنـاحْ

يغـذّى ويـروى بـراح المنــى		وفــي صــدره نفحــات الأقــاحْ

* * *

أعيـدي إلــيَّ أمــاني الـصبا		فــألبس تــاج المليــك القــديرْ

وأبلــغ بــالفن أعلــى الـذرى		إلــى أن يحطـم غـلَّ الأسـيرْ

وأسخو، ومـا جفّ كف النـدى		وأحبــو العــراء كــساء نــضيرْ

-١٠٧-

فيــا للأمــاني ريــاح النــوى　　　عـصفن بهـا رغـم جهـدٍ كثيـرْ

* * *

تعــالي ننــاجِ ربــوع الهــوى　　　ونــسقِ ثـراهنّ خمـر الـشهودْ

فمـا شـرب الفقـر إلا انثنـى　　　جنانـاً تهـافَتْنَ حمـر الـورودْ!

تطيـب النفـوس بـذكرى الحمـى　　　وأطيـب ذكـرى خفـوق البنـودْ

فهـل مـن رجـاء بعـود المنـى　　　وهـل مـن لقـاء يعيـد الـصدودْ

* * *

تعـالي نجـددْ عهـود الـصفا　　　ونفـرغ كـؤوس الرحيـق الـصفيّ

ليحمـرّ وجـه الغـدير متـى　　　تلونـا نـشيد الحنـين الخفـيّ

قنعنـا بنـار الخيـال فمـا　　　لـذاك الـضرام بنـا ينطفـي

فيـا وحـشة الربيـع مـن بعـدنا　　　يـسائل عنـا ولا يكتفـي!!

* * *

في حديقة بغداد

لـي وقفـةٌ والـوردَ عنـد الـضحى أبثـــه وجـــد الفـــؤاد الكئيـــبْ

أصغي إلى همس الغصون وما تـــسرّه الفيحـــاء للعنـــدليبْ

أسري فيجـري النهر فـي جانبي والزهــر نـــورٌ وافتتـــانٌ وطيـــبْ

أعـيش دهـري فـي صـفاء فـلا ينــزل منــي الهـم صـدراً رحيـبْ

الـــدوح أهلـــي والهــزار المنـــى والـروح تهوى غمغمـات الحبيبْ

*   *   *

حياة الأديب

إن صـفت خمـرٌ بأقـداح الهـوى   مــال يجلوهــا بأبكــار البيــان

أو شـكت طيـرٌ بـأوداء الحمـى   هاجــه النــوح فأبكــاه جنــان

أو هفـا صــبٌّ لمعـسول اللّمــى   راح يـشكو مثلـه جـور الحـسان

إن تقولـوا مــا بــه مــن لوعـة   لـيس مـا فيـه التيـاعٌ بـل حنـان

كــل قلــب فــي البرايــا قلبــه   فــارحموه إنــه قلــب الزمــان

*   *   *

وشاح حواء

كـان للـدوح فـي القـديم وشـاحٌ　　　جــرّ فيــه علــى الغـدير ذيــولا

عـاطر الفـوح نـاعم النسـج رطبٌ　　　مثـل بُـرْدِ الحبيـب حسنـاً وطـولا

زانــه فــي نــدى الـصباح لآلٍ　　　من عقـود الجنـان تـشفي الغليلا

غيــر أن الريــاح أنــة سـخطٍ　　　مزقــت بــرده القــديم الجمــيلا

ذي الوريقـات من بقايـا وشـاحٍ　　　لملمتهـا الغصـون تبغـي السدولا

كلمـا رمـن وصـلهنَّ احتـشاماً　　　سـدت الـريح بيـنـهن الـسبيلا

عبثــت أنمــل الريــاح ببــردٍ　　　لحبيبــي فحاولــت (مــستحيلا)

ليتهــا أفلحــت فمــزق عنــه　　　فأرانـــا مـــن الغــصون شــكولا

*　*　*

السُّكْرُ بالشــذى

يــا درّهــا مــن ســكرة لا رحيــق	إلا شــذى زهــر الجمــال الأنيــقْ
فـــي روضـــة غنّـــاء ريّانـــةٍ	تثيـر فـي المشتاق مـا لا يطيـقْ
نــشوى مــن الأنفــاس أرواحنــا	سكرى مـن الأشـواق لا تـستفيقْ
يـــا جنـــة الأرواح إن تحملـــي	زهر الهوى في مثل لـون الشقيقْ
فقـد تركـت الـشوك فـي جـانبي	ينمو على الأيام دون الوريقْ...

* * *

دمشــق الجميلة

دمـشق إذا غبـتِ عـن نـاظري فرســمكِ فــي حــسنه الزاهــرِ

مقـيم علــى الـدهر فــي خــاطري

إذا فــتّح الــورد فــي روضــتكْ وغنّــى الهــزار علــى دوحتــكْ

يهــبّ نــسيم الــصبا هاتفــاً: أمــا والــذي طــاب فــي تربتــكْ

ســمعت شــتات الأغــاني فمــا اهتــززت اهتــزازي لأنــشودتكْ

ولا عبقــت نفحــة فــي الفــضا أحــرّ وأطيــب مــن نفحتــكْ

* * *

ونهــر تعــشّق ضــوء القمــرْ يغمغــم بــين المنــى والــذكرْ

فينثــر فــي جانبيــه الــدرر

كأنــه والــصبح لمــا بــدا.. ودنــدن شــاعره منــشدا

فــؤاد تــصباه حــب العلــى فخلّفــه هائمــاً مزبــدا...

تــشف عــن الــصفو أعماقــه ففــي كــل قطــر تــرى فرقــدا

لأهـــوى العواصـــف هـــدارةً   فهـنّ المنـى باسـمات غـدا!!

*   *   *

وســـحر رواه هـــزار لبيـــبْ   يصوغ من الـنجم تـاج الحبيـبْ

صـــياغة فـــذٍّ قـــدير عجيـــبْ

يحــدثنا عــن هــوى شــاعر   تـــسربل بالنـــاعم الناضـــر

يـــساجل فـــي شـــوقه أمّـــة   تعالـت علـى النـاس فـي الغابر

فهـــل لـــم تهـــزك أصـــداؤه   تفـيض علـى القلـب والخـاطر

فـــربَّ نـــشيد مهيـــب بنـــا   إلـــى قنـــة البـــاذخ الظـــاهر

*   *   *

أأنـسى ؟ ألا كيـف أنـسى الـوداد   ولـيس بقلبـي لـه مـن تنـادْ

وهـل عُـرِف الـشوق لـولا البعـاد؟

ويـوم هممـت بهجـر الـوطن   إذا كـل مـا شـمت فيـه حـسن

فجُـــرْدُ أعاليـــه مخـــضرة   وقفـر صـحاريه روض أغـن...

ومـا حـرّه غيـر بُـرْدِ الـصبا   ومـا ظنّـه غيـر رفـق الـزمن.

ومـا اللـؤم طبـع العدا بـل همو   كـرام حبـوا مهجتـي بـالمنن.

*   *   *

أنـــا وبـــلادي مللنــــا الجفـــاء كلانــــا محـــبٌ قـــوي الرجـــاء

شــــهيد علينــــا العلــــى والوفـــاء

فـــلا أنـــا أنـــسى جميـــل البلـــد ولا هـــــو ينــــسى ولاء الأبــــد

ولكـــن عـــدو خفيـــف الحجـــا تأكلـــــه نزعــــات الحـــــسد..

رمانـــا فكنـــا كمـــا يـــشتهي... يفرقنـــا فيـــه حـــب الـــصمد.

كــــأني بخالقــــه غــــادة... تنــــازع حبهـــا شـــيخا بلـــد.

* * *

ومـا الـدين أن نستشير الـشجون بل الدين في النـاس قلب حنون

يفـيض مـن الخيـر غيثـاً هتـون

بروحـــــي مناهلــــه الــــصافيهْ تــــلألأ عـــن نـــشوة عاليـــهْ

وإن فـــي الـــبلاد ومـــا أنبتـــت.. جنــــان معطــــرة زاهيـــــهْ...

إذا ذكـــــر القلـــــب أوطانـــــه فـــإن دمــــشق لـــه قافيـــهْ...

فزدنــــي مـــن كرمهـــا رشـــفة فأمـــشي علـــى شـــوكه حافيـــهْ

* * *

بـلادي هـي بعض من قد هويت ريـاض سـعدت بهـا أم شـقيت

أنـاجي بهـنّ المنـى مـا حييـت

فكم لي فوق الثرى من ذمم وكم لي تحت الثرى من رمم

ولو لم يكن فيه غير أبٍ... وأمٍ لكان الحمى والعلم...

إذا فاخر الغير في قطرهم فوادي الشآم بأعلى القمم!

فلا نضب الجود في سُحبه ولا عرف الخصب فيه الهرم.

لبنـــان

عدنا فمرحى يا زمان الصبا نستقبل الأنوار فوق الأكم

هل يا ترى في الناس من مبلغ أنّا ملأنا العين مما انسجم

يا حبّذا لبنان ربع الندى منتجع العافين، مجلى الشمم

يهزأ بالأوداء ما طأطأت وأين للأوداء مجد القمم؟

* * *

على ذراع الأفق ممتدة ينام لبنان الكثير الأرق

معطر الأنفاس ذو فروة تعبث فيها الريح بين الورق

في طلعة الحسناء محجوبة طوراً، وطوراً في سنى يأتلق

كأنه والغيم في موجة طفت زخوراً في رحاب الأفق

* * *

لبنان حدّث عن رشاش "الصفا" عــن أرزه يلـــثم خــد القمـــر

عن وثبة" الشاغور"[1] مستطلعاً عن ركضة "الباروك"[2] بين الشجر

عن "إهدن" قامت على منبر فــي حلقــة الريحــان لا تــستقر

عن الكروم الخضر تحنو على مهامـــه يهــدين أحلـــى الثمـــر

* * *

أطوف وحدي ليس لي مؤنس إلا هـــدير النبعـــة الرافـــدهْ

أرعى قطيعاً من ضيوف المنى فـــي ذروات الغابـــة الـــصاعدهْ

طـود رسـا أم سـلّم مـن رؤى أم غابـــة أشـــجارها ســـاهدهْ

أم قبـــة خـــضراء قدســـية أم نـــشوة روعتهـــا خالـــدهْ

* * *

أيـــام لبنـــان وتـــذكارها أحلى انطلاقاً من غناء الربابْ

مـا هنّ إلا الدهر فـي صفوه إلا الأماني في انقشاع الضبابْ

---

(١) تقصد شاغور (حمّانا) الذي كانت الشاعرة تصطاف فيه سنوياً.

(٢) الباروك: سلسلة جبلية في لبنان تمتد من جبال نيحا وتنتهي بضهر البيدر وترتفع (٢٢٢٢) متراً عن سطح البحر.

يغريك طعم الخمر في مائه وغمغمات في زوايا الهضابْ

طرحت في لبنان قلباً وهى فعاد في لبنان قلب الشبابْ

* * *

هذا فؤادي عالق بالنقا داويته بالعطر آن الوجيبْ

وذاك شعري في مهب الصبا وهاك نبضي في رمال الكثيبْ

وأطيب العيش افتراش الثرى وشربة من سلسبيل عجيبْ

في ظل دوح عابق بالشذى يهتز في الإصباح بالعندليبْ

* * *

جَيـــران

مـــــا رأيـــــت الغـــــصن إلا	كـــــاد قلبـــــي أن يطيـــــرْ
أتـــــــــــراه ذا جنـــــــــــاحٍ	مـــــن خفـــــوق وزفيـــــرْ؟
ليـــت لـــي عـــشاً هنيئـــاً	عنـــــد ســـــفحٍ وغـــــديرْ
وهـــــزار الـــــدوح جـــــاري	يمـــــلأ الجـــــو صـــــفيرْ
وفـــراش الحقـــل مـــن رســـ	ـــلي إلـــى الخـــل الأثيـــرْ
أقطـــــع الآفـــــاق شـــــوقاً	فـــي حمـــى البـــدر المنيـــرْ
كلمـــــا داعبـــــت زهـــــراً	أرســـــل الزهـــــر العبيـــــرْ
وإذا مـــــا أينـــــع التفـــــ	ـــــاح أترعـــــت العـــــصيرْ
مـــــلء عينـــــيّ جمـــــال	والـــــرؤى مـــــلء الـــــضميرْ
وعلـــــى ثغـــــري ألحـــــا	ن صـــــــداها يستـــــــشيرْ
وبقلبـــــي الأمـــــل الـــــضا	حـــــك يتلـــــوه البـــــشيرْ

* * *

-١٢٠-

فـــإذا مـــا الـــثلج وافـــى واختفـــى الـــورد النـــضيرْ

وبكـــى الأفـــق وغامـــت بـــسمة الـــروض الغريـــرْ

أوقـــدت ذكـــراه نـــاراً فـــي خـــلال الزمهريـــرْ

الذكـريات

أنـت يـا ذكريـات دهـري إذا مـا　　بــسط الليــل مــدلهمّ الجنــاح

فارفعي الستر فالحديث شجون　　لـرؤى قـد تـدوم حتـى الـصباح

أنـت مـستودع الأمـاني اللـواتي　　كـنّ مـن قبـل عابقـات النـواح

صـور الأمـس والزمـان شـهيٌّ　　تتــراءى فــي لوحــة الإفــصاح

أنت مثل الغيوم في صفحة الأفـ　　ـق نهـاراً مـا بـين غـافٍ وصـاح

تعكسين الأنوار شتى على الأمـ　　ـواج يهتاجهــا أنــين الريــاح

أنـت مـن موجـة الهيـام رشـاش　　نفـــضته أنامـــل الأشـــباح

يصبح الأمـس حاضراً فيك لـولا　　مــا نــزا مــن مــدامع وجــراح

وليغـدو العـدى كرامـاً نـشاوى　　شــربوا خمــرة الــولاء الــصراح

وليمـسي البعيـد فيـك قريبـاً　　باعثـاً فـي الفضاء ريّا الأقاحي

ويهــب المــوتى، فهــذا حبيــب　　يتهـــادى وذي قـــدود المـــلاح

لكــأن الــشباب لــدن حفــيٌّ　　مــشرئبٌ إلــى فنــون المــراح

* * *

أسمع الصوت أو أرى الطيف منهم يتهادى على النجوم الصباح

وأرد الصدى؛ وأرفع كأساً أترعت من عصارة الأرواح

وأنا الطفلة اللعوب وصحبي نتبارى على رمال البطاح

نتساقى من الوداد صفياً في رياض مطرزات الوشاح

ثم تخفى معالم ورسوم ليس يبقى غير الأسى الملحاح

* * *

همُ الأطفــال

وراقـصة علــى نغـم الـشوادي لهــا صــوت كترجيــع الربــاب
يفـيض جمالها فـيض الغوادي علـى مـا فـاح مـن زهر الروابـي
أحــب لحبهــا الأطفــال طــراً ولـو سـئم الفـؤاد مـن العـذاب
تفــاجئني وذهنــي فــي شــرود يطل علـى المواكب، من كتـابي
فتهــذي غيــر حافلــة بنقــدي وتعبــث بالــصحائف والخطــاب
تحــوّم حــول حبــي لا تبــالي ســؤالي كــان نـهيــاً أم جـوابي

* * *

هم الأطفال فـي الفردوس حلوا كصفو الـراح فـي كـأس الـشراب
خفــاف كــالطيور إذا اطمــأنوا وإن جزعـوا اقتفـوا أثـر الـشهاب
خيــامُهُمُ علــى جنــات عــدن ومــاوُؤهُمُ علــى مــتن الــسحاب
وشــرعُهُمُ الهــدى واللفــظ درٌ وحــبُّهُمُ هــوى أهــلِ اللبــاب ١

* * *

النعش المجنّح

(قالت تناجي الطيارة التي أقلت
جثمان الملك فيصل الأول)

هاجه الشوق للعراق فطيري   وانشري راية المليك الكبير
آيةٌ أنت، فهو فيك مسجّى   وجناحاه بين عصفٍ ونور!
صعّدي في الفضاء، في الصحو، في السحب وميلي على دروب البدور
وأثيري الرياح من كل هوجاءَ   نواحاً يشق صلد الصخور
ثم نادي البروق والرعد حتى   يستثير الفضاء حرّ الزفير

* * *

صحت والركب طائرٌ يتعالى: قد حجبتم عن العيون الهلالا
أرجعوا الجود ضافياً يتهادى   أرجعوا النبل ساطعاً يتلالا
أيها الدمع إن تسلْ فعليه   أيها الشعر إن تجِشْ فسجالا
أيها العرْب إن صدقتم فهبّوا   واشهدوا مصرع الجهاد رجالا
فهو للمجد يبتغيه جواباً   وهو للسيف ينتضيه سؤالا

* * *

أيهــا الطــائر المحلــق هيــا نحو بغداد، إن في النعش حيّا

نازلته الخطوب في الشام حتى لـم يـدع للخطـوب زنـداً قويـا

وتركــت الــشآم قفــراً يبابــاً لا ظـــلالاً ولا غنـــاء شـــجيا

وأبــى الله أن يكــون مهيــضاً فـــي ديـــار تعـــشّقته فتيـــا

* * *

مـا لبغـداد فـي الثكـالى نظيـر ترقـب الجـو والعيـون بحـور

شـاحب خـدها وقـد كـان ورداً خاشـع طرفهـا: أصـاح النـذير

إيـه بغداد مـا لـك اليـوم ولهـى قـد عراهـا علـى الـشباب فتـور

لا زهـور تـزين الحـي بـشراً لا غنـــاء يهـــزه، لا خمـــور

أكـذا ملتقـى الأحبـة بعد الـشو ق ؟ إن الهـــوى أبـــيّ نفـــور

* * *

سرْ على الريح يا حبيب القلوب وتخـــطّ الحـــدود رغـــم الرقيـــب

قد ضممت الحمى فما من سدود تفصل الصبّ عن تراب الحبيب

باحث أنت في حمى النجم تعلي راية العرب في الفضاء الرحيب؟

أم تحب الضياء؟ ها هو نـسرٌ فـوق نعـشٍ مجـنّحٍ مخـضوب

إن صـوتاً مـن الـضريح ينـادي هـل تطيـب الحيـاة للمغلـوب!!

* * *

أمل الفلاح[1]

مـن الفـارس المغـوار فـي سـاحة الـوغى
مــن الــسهم لا يثنيــه رد الجحافــل؟
مـن النهـر يجـري بـين كفيـه صـاغراً
يغيِّـــر مجـــراه بـــرغم الحوائـــل؟
مــن الغــصن يهتــز انــشراحاً للمــسه
ومـن ذا كـسا الجـرداء أبهـى الغلائـل؟

* * *

هــو الــزارِع الفــلاح لــولا جهــاده
لمــا شــمت بالريحــان حــسن المخايــل
هـو الطـود للعـبء الثقيـل وقـد بـدا
علــى وجهــه منــه اتقــاد المــشاعل

(١) القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في محطة الإذاعة البريطانية بلندن، عام ١٩٤٧.

نبــيٌّ فقـد أوحــى إلــى القفـر بالــشذى

وعلّـــق أقـــراط الغـــصون الحوامـــل

رســـــالته طيـــــب وجنـــــيٌ ونـــــشوة

وكعبتـــــه الخـــــضراء حـــــج القوافـــــل

ففـــي جـــدّه عـــين الحيـــاة تفتّحـــت

علـــى غـــرر مـــن كـــل صـــوب حوافـــل

بهـــا موكـــب الأرواح والكـــرم والمنـــى

يـــرف حواليـــه جنـــاح البلابـــل

يلـــين لطلـــع نـــاعم النـــسج غـــضه

لـــه صـــور الأحـــلام فـــي عـــين آمـــل

كـــأني بـــه أمٌ تلـــين لطفلهـــا

وترعـاه فـي عطـف علـى الـدهر شـامل

شـغوف بحـسن الأرض يهـوى خيالهـا

ولـو حـال دون الملتقـى ألـف شـاغل

وقـد بـات مطبوعـاً علـى لـوح قلبـه

بـصورة روض ناضـر الزهـر مائـل

تغنـــي لـــه فـــي كـــل فجـــر حمامـــة

وتحنـــو عليـــه دوحـــه فـــي الأصـــائل

فتـــسرع أســـراب الطيـــور مطيعـــة

يعـــدن، ولا يـــدرين معنـــى التكاســـل

وكلـــب حمـــولٌ للرزايـــا محبـــبٌ

رقيـــبٌ وفـــيٌّ العهـــد، لـــيس بخـــاذل

يبيـــت وقطعـــان النعـــاج ببابـــه

فلـــست تـــرى فـــي أهلـــه غيـــر بـــاذل

ومـــاذا عليـــه إن تقـــوّس ظهـــره

علـى كونـه فـي الـرقص حـور الخمائـل

لـــئن ضـــاق بـــالكوخ الـــصغير مقامـــه

فـــإن لـــه رحـــب الفـــضاء المقابـــل

خـــلا جيبـــه أمـــا الفـــؤاد فملـــؤه

حنـان يفـيض الـدهر فـيض الجـداول

تغلغـــل فـــي صـــمّ الجنـــادل روحـــه

ففجـــر بالإلهـــام أصـــفى المناهـــل

يـــشعّ مـــن المحـــراث مـــا فـــي فـــؤاده

مـــن النـــار يـــستحيي بهـــا كـــل ماحـــل

فهـــل عجـــب أن بـــثّ روحـــاً فـــرددت

شـــفاه الأقـــاحي مدحـــه بالهياكـــل

لــئن خــشنت منـــه اليـــدان فكفـــه

ســماح وإن الجـــود بـــسط الأنامـــل

يتيـــه عليـــه المترفـــون بمـــالهم

ولـــيس لهـــم مثـــل ابتـــسامة عامـــل

فـــإن أرقـــوا لـــم تعـــرف الـــسهد عينـــه

وإن بطـــروا أثنـــى علـــى خيـــر واصـــل

وإن ركبـــوا أســـرى فجلّـــى علـــيهم

وإن ســـكروا لـــم يـــدرِ معنـــى التغافـــل

وأحلـــى نـــشيد فـــي الليـــالي ســـماعه

نـــشيد غيـــوم الأفـــق تهمـــي بوابـــل

يـــذل عقـــاب الـــشمّ بأســـاً وقـــوة

وينـــزل فـــي الغابـــات أعلـــى المنـــازل

هـــو الـــساعد المفتـــول لا يعـــرف الـــونى

هـــو العـــزة الـــشماء دون تطـــاول

فمـــا الزهـــر إلا الـــشكر حُـــقّ لجاهـــدٍ

ومـــا الخـــصب إلا مـــن جـــزاء المناضـــل

*   *   *

اليتيمة

نامــت عيونــك لا الأصــباح توقظهــا

ولا التغاريــد عنــد الفجــر تغريهــا

أغضت يكحلها الترب الـذي نفضت

أنامــل الــدهر مــذ فــازت مراميهــا

وكنــت ظرفــاً رضــيّ الــنفس ذا أدبٍ

وروعـــة أدهـــشت أبـــصار رائيهـــا

لهفـي علـى الطود يهـوي فـي معزّتـه

علــى القــسامة ريــح البــين تــذريها

علـــى المناكـــب إن لاحـــت لآنـــسةٍ

أومـت إلـى صـحبها والرفـق حاديهـا

*   *   *

صـــفائح القبـــر! رفقـــاً، إن طفلتـــه

أحـق منــك بــأن تحظـى براعيهــا

تـــأتي الوســـاد فتـــدعوه مقبلـــة

هـدب الوسـاد وقـد خابـت أمانيهـا

هنــا.. ينــام حبيــب القلــب والــدها

هنـا.. الأغـاني التـي كانـت تـسلّيها

هنـا.. فـراغٌ.. لمـاذا؟ أيـن طلعتـه؟

ويمعن الليـل .. والأشـجان تكويهـا؟

أيـن العنــاق الــذي ذاقـت حلاوتــه

أيـن الـذراع التـي كانـت توقّيهـا؟

أيـن الـشفاه التـي تـصبو لقبلتهـا

مــا للمغــاني ســكوت لا تناجيهــا؟

*   *   *

تنـأى عن الـصحب لا لهـوٌ ولا مـرحٌ

حتـى البـشاشة فـي الغابـات تـذكّيها

تـنكّس الطـرف مـا ناجتـه شـاحبة

يروْعُهـا أن يكـون الـصمت تنويهـا

وتــسأل الدميــة الخرســاء فــي ولــهٍ

هـل الفجيعـة قـد حلّـت بمهـديها

أمـــات (بابـــا) فمـــا ألقـــى لـــه أثـــراً

وهـل تـوارى عـن الأزهـار شـاديها

لـم يتـرك المـوت عينـاً منـه أو كبـداً

تحنـــو علينـــا إذا هبّـــت ســـوافيها

* * *

مـــا زال طيفـــك نـــوراً فـــي مخيلتـــي

وصـوتك الحلـو (يـا بابـا) يناديهـا

تهـــب لـــيلاً فتنـــسينا لواعجهـــا

إنّـا اقتـسمنا الجـوى دهـراً وننـسيها

فهـــي الكآبـــة مـــا تنفـــك ذاهلـــة

صـــفراء مطرقـــة جمـــراً مآقيهـــا

* * *

دوحة الذكـرى

نمـا حبهـا فـي العين والأذن والحـشا
نمـوّ غـراس طيـب الأرج والتـرب
تـرى عـصفت ريـح النـوى بنـضيره
وأخنـى علـى أزهـاره وهـج الغـرب؟
فيـا دوحـة الـذكرى أثـار مـدامعي
ذبولـك رغـم المـاء والنـور والخِـصب
تريـنـي إذا مـا الليـل ألقـى ذوائبـا
أحثّ إليك الشوق في البعد والقرب
كـأني حمـام حـنّ مـن فـرط شـوقه
إلـى أيكـة جـرداء مكتئـب القلـب
يـسائلها عـن عـشه أيـن روحـه
وأين الـذي شـادته أمـس يـد الحـب

*   *   *

إلى الساقية

يا من سقيت الروض صهباء الهوى

وتفتّحــت أبــصاره بعــد الــشراب

تجــرين فــي ولــهٍ كــأن مناديــاً

يـدعوك ظمآنـاً إلـى رشـف الرضـاب

هيـا اركـضي فـي سـاحة الـدنيا بمـا

أعطيت من هبـة الغنـاء أو السحاب

إنــي لأســمع فــي حــديثك نغمــة

أخـذت طيـور الغـاب عنهـا والربـاب

مــا إن جلــست إلــى ضــفافك مــرة

وقرأت مـا أملـى النسيم مـن الخطاب

إلا التفــتّ كــأن طيفــاً هاتفــاً

بــالقرب منــي عائــداً بعـد الغيــاب

* * *

تصوّف

لمـــاذا إن رأيتـــك بـــين حـــشدٍ تلاشـى الكـون واحتجب الوجـود

فمـا يبقـى سـواك أمـام عينـي ومـا هـاج المعـازف والنـشيد

كـــأن الخلـــق كلّهـــم هبـــاء فـــلا صـــور ولا صـــوت يعيـــد

لمـاذا لـست أهـوى منـك قربـاً وأقنـــع بالخيـــال فـــلا أزيـــد

أأنـت مـن الألـى عُبـدوا قـديماً وأغرانـــا بحـــبهم الخلـــود؟

* * *

أرق

أيهـا النـوم، يـا نجـي الليـالي   يـــا ملاكـــاً ملفّعـــاً بـــالظلال

باسطاً فـي الـدجى جناحيـه رفقاً   مغمـض الطـرف أبكمـاً لا يبـالي

تجـذب الـستر وهـو داجٍ كثيـف   يحجب الروع عن قلوب الرجال

فـي غطـيطٍ يمـوج حلمـاً رقيقـاً   يتـراءى فـي مثـل ضـوء الهـلال

أيـــدي أفلتـــت جناحـــك وهنـــاً   أم قطعت العهـود قطـع الحبـال؟

أم غزت ريشك العوادي انتهاباً   معجبـات بمـا لـه مـن جمـال

يـا نعيمـاً فـي شكل موت مريع   وحيـاة فـي مثـل صـمت الـزوال

عد إلى الجفن بعد هجر مرير   واحمـل الـروح فـي ربـوع الخيـال.

* * *

ورقاء

طرب القلب وملّته الهموم

فإذا الورقاء في الليل تهيم

ما لها صامتة قد ذهلت

عن فنون الروض حيرى لا تريم

لو تغنينا على وقع الندى

أنصت البدر إليها والنجوم

أتراها اليوم ضلّت سيرها

أم بها في صمتها وجد قديم

أم جفاها الحب حتى لا صدى

لأغانيها ولا رد كريم

إيه يا ورقاء ما شاء الهوى

فشقاء الحب في الدنيا نعيم

فغـــداً ترجـــع ألحـــان الـــصبا

تقعـــد الأكـــوان شـــوقاً وتقـــيم

يطلـــع الفجـــر علـــى هـــام الربـــى

لاثمـــاً فـــي كـــل حـــسن مـــا يـــروم

فـــشفاه قـــد تنـــدّت نـــشوة

وعيـــون قـــد جلـــت عنهـــا الغيـــوم

تهـــرع الأســـراب لاســـتقباله

فـــي هتـــاف وقعـــه حلـــو رحـــيم

* * *

في الراديـو

أنــام والأنغــام فــي مـسمعي تدوي وحرّ الشوق في أضلعي

تــردد الأصـــداء مخــضوبة بمــا نــزا فــي كبــد موجــعِ

علـى جنـاح الليـل فـي وحـشة معقـودة الأطـراف ليـست تعـي

إذا أطــل الــنجم مــن كــوّة لاح خيــال كــان يـصبو معــي

وإن أهابـت بـسمة فـي الـدجى ذابت على لحن الأسى المودعِ

هل في حنين العود من ساجعٍ يـوحي إليــه الأسـر بــالممتعِ

* * *

يـا صلتي بـالكون فـي وحـدتي إذا دجــا ليــل النــوى الأروعِ

مـدّي بهـذا الـصوت يـا طالمـا حملتنــي إلــى المــلأ الأرفــعِ

أكــلُّ مــا يبقيــه دهــر لنــا سلك من الفولاذ في المخدعِ؟

* * *

تعالـــي

تعـــالي إلـــى الروضـــة الزاهيـــهْ	نغـــرد وأطيارهـــا الـــشاديهْ

فقـــد نـــورت بكـــؤوس الـــشذا	فقـــاقيع عربيـــدة غاويـــهْ

مهفهفـــة مـــلء أردانهـــا	عبيـــر تـــنفّس عـــن شـــاكيهْ

بـــروض أزاهيـــره أشـــبهت	عيونـــاً تطـــل علـــى الـــساقيهْ

تعاليـــت يـــا معجـــزات الثـــرى	هيامـــاً بأســـرارك الخافيـــهْ

بروحـــي عهـــدك إذ نلتقـــي	علـــى ضـــفة النبعـــة الداويـــهْ

تزقـــزق فيهـــا الأمـــاني التـــي	حـــسبنا أناشـــيدها باقيـــهْ

إذا مـــا نـــسيتِ عهـــود الهـــوى	فلـــست لعهـــدك بالناســـيهْ

* * *

وردة الصيف الأخيرة

يقولـون الـصبا روض خـصيب   وأين الـروض فـي هذا العراء؟

فـــلا ظـــل ولا ورق يقينـــي   هزيم الرعد فـي حلـك المـساء

ولا أنـــس يطيـــب ولا حبيـــب   يـرد بجنحـه عـصف الـشقاء

ولا قلـب يجيـب صـدى حنينـي   ولا عـين تتـوق إلـى لقـائي

كـأني للنوائـــب صـــرت أهـــلاً   أداوي داءهـــا فيعـــزّ دائـــي

بـذا تقـضي الـسماء فـلا مـردّ   وهل مـن نـاقض حكم الـسماء

على روض الشباب نثرت دمعي   عـسى تخـضر أعـواد الرجـاء

*   *   *

المصادر

١- ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر . منشورات جمعية الرابطة الثقافية النسائية بدمشق ١٩٤٤.

٢- دوحة الذكرى . مختارات من شعر ونثر ماري عجمي . وزارة الثقافة . دمشق ١٩٦٩.

٣- مجلة القيثارة . اللاذقية ١٩٤٧.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة